OPEN ACCESS
Received: 29/05/2025
Accepted: 01/08/2025

مجلة الآداب

The Devil in the Islamic Educational Concept, between the Centrality of Warning and the Marginal Presence in Modern Educational Thought

Dr. Fahd Aith Fahd Al-Qahtani*

faqhtani@uqu.edu.sa

Abstract

This study sought to articulate the educational concept of Satan as presented in the Holy Qur'an by examining his defining traits, origins, and the foundational conflict depicted in the story of Adam (peace be upon him), while also exploring Satan's principal methods of temptation and the Qur'anic strategies for protection. Structured into an introduction, three chapters, and a conclusion, the research first analyzed Satan's characteristics through Qur'anic verses, then outlined Islamic educational approaches to safeguarding against his influence—emphasizing not only caution but also practical tools for strengthening psychological and intellectual resilience. The final chapter contrasted these insights with modern educational and philosophical theories, highlighting their general disregard for metaphysical dimensions, including the concept of Satan. The study concluded that Satan employs diverse tactics such as embellishment, whispering, and social manipulation, and that Islamic protection is holistic, encompassing spiritual, emotional, cognitive, and social defenses—unlike contemporary thought, which tends to explain moral deviation through purely material or psychological frameworks.

Keywords: The concept of Satan, Educational thought, Methods of temptation, The metaphysical dimension.

* Associate Professor of Islamic Fundamentals of Education, Department of Educational Policies, College of Education, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Qahtani, F. A. F. (2025). The Devil in the Islamic Educational Concept, between the Centrality of Warning and the Marginal Presence in Modern Educational Thought, *Journal of Arts, 13*(3), 156 -186. https://doi.org/10.35696/joa.v13i3.2738

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 29/ 05/ 2025
تاريخ القبول:01/ 08/ 2025

مجلة الآداب

الشيطان في التصور التربوي الإسلامي، بين مركزية التحذير وهامشية الحضور في الفكر التربوي الحديث

د. فهد عائض فهد القحطاني*
faqhtani@uqu.edu.sa

ملخص:

هدفت الدراسة إلى بلورة تربوية لمفهوم الشيطان في ضوء القرآن الكريم، عبر معرفة سماته العامة، وبداية نشأته، وملامح الصراع التي تشكلت في قصة آدم عليه السلام، ومن ثم تسليط الضوء على أبرز أساليبه في الغواية، وأبرز سبل الوقاية منه، وقد قسَّمت الدراسة إلى: مقدمة وثلاثة مباحث ثم خاتمة، عني المبحث الأول بمفهوم الشيطان في ضوء القرآن الكريم، من خلال سمات الشيطان الواردة في القرآن الكريم، وفي المبحث الثاني تعرضت الدراسة إلى أساليب الوقاية من الشيطان في التربية الإسلامية التي لم تقتصر على التحذير من خطر الشيطان، بل تجاوزت ذلك إلى بيان سبل الوقاية العملية التي تُعزّز مناعة الإنسان النفسية والفكرية، وفي المبحث الثالث تم استعراض نموذج من الفلسفات والنظريات الإنسانية والتربوية، وقاعدتها الفلسفية، التي تبرز نظرتها للغيب عمومًا، وللحضور الشيطاني خصوصًا، وقد خلصت الدراسة إلى أن للشيطان أساليب متعددة في الغواية، منها: التزيين، التمني، الوسوسة، الاستدراج، العداوة الاجتماعية، وغيرها، وقد وردت مفصلة في النصوص الشرعية. الوقاية من الشيطان في التصور الإسلامي لا تقتصر على الاستعاذة بل هي وقاية متكاملة تشمل الجانب الإيماني، والفكري، والمشاعري، والاجتماعي. وقد اتفق الفكر التربوي الحديث، بمختلف مدارسه، على إغفال الجانب الغيبي، وربما نفيه، بما في ذلك الشيطان، وفسّرت الانحرافات من منطلقات مادية، أو نفسية، أو معرفية فقط.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الشيطان، الفكر التربوي، أساليب الغواية، البعد الغيبي.

* أستاذ الأصول الإسلامية للتربية المشارك، قسم السياسات التعليمية، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: القحطاني، ف. ع. ف. (2025). الشيطان في التصور التربوي الإسلامي، بين مركزية التحذير وهامشية الحضور في الفكر التربوي الحديث، *مجلة الآداب*، *13* (3)، 156- 186. https://doi.org/10.35696/joa.v13i3.2738

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

يمثّل الإيمان بالغيب ركيزة رئيسة في المنظومة العقدية الإسلامية، تربط الإنسان بمصدر الوجود والمعنى والتكليف. وقد اتخذ القرآن الكريم من الإيمان بالغيب معيارًا فارقًا بين المتقين وغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة:٢-٣] وهو ما يشير إلى أن الغيب ليس هامشًا في التصور الإسلامي، بل هو جزء بنيوي من تكوين المعرفة والوعي، فالإيمان بالغيب كما يذكر ابن قيم الجوزية (1991) أصل من أصول الإيمان، وقوام الدين، وأول صفات المتقين، وميزان السعادة والشقاء؛ فمن آمن بالغيب كان من المهتدين، ومن أعرض عنه كان من الضالين.

ويُعدّ الشيطان في التصوّر الإسلامي كيانًا حقيقيًا حاضرًا في دائرة الغيب، لا مجرّد رمز فلسفي أو تصوير تجريدي كما يراه بعض المفكرين، بل هو وجود فعلي ذو تأثير بالغ في حياة الإنسان، فتأثيره لا يقتصر على الجانب العقدي، بل يمتد ليطال التكوين النفسي، والسلوكي، والتربوي للفرد، وقد أولت النصوص الشرعية اهتمامًا بالغًا بشأنه، حتى ورد ذكره وما يتصل به في مئات المواضع من القرآن والسنة، مما يدل على مركزية دوره في منظومة الابتلاء والتكليف، وهذا يبرز أن معركة الإنسان في جوهرها لا تقتصر على صراعه مع شهواته، أو مع الظروف المحيطة به، بل تشمل أيضًا مواجهة عدو غيبي خبير في التزيين والتضليل والخداع.

من أجل ذلك وجب الإيمان به ضمن دائرة الإيمان بالغيب، والإيمان بأوصافه وأبعاد تأثيره كما أوردها الشارع الحكيم؛ ذلك أن الإيمان بالغيب أصل عظيم من أصول الدين، وهو ثمرة العقل والشرع، ومن لم يؤمن بالغيب فليس من أهل اليقين، إذ لا يتم الإيمان إلا بتصديق ما غاب عن الحواس، واعتمد فيه على خبر الصادق (الغزالي، 2005) فهنا يعكس الإمام الغزالي مصدر الإيمان بالغيب وأداته المعرفية وهي: الاعتماد على الخبر الصادق.

وهذا يقودنا إلى ما ذكره عبدالرحمن (2000) والذي ساهم بدوره في التزهيد بقيمة الخبر والغيب، حيث يقول: لقد أقصى الفكر الغربي الحديث كل ما لا يُدرك بالحس أو يُقاس بالتجربة من دائرة المعرفة العلمية، فاستبعد الغيب استبعادًا كليًا، وجعل العلم حكرًا على ما تشهد به الحواس وتُقره التجربة. ومثل ذلك فعل بالخبر، فاعتبره ظنيًا لا يُستند إليه في بناء المعرفة اليقينية، فضلاً عن أن يكون مصدرًا للعلم.

وينسب باومان (2016) هذا التأثير إلى الحداثة التي أعادت تعريف المفاهيم بما فيها مفهوم العلم حيث يقول: إن الحداثة نزعت القداسة عن الكون، وأحلت العقل مكان الوحي، والتجريب مكان الإيمان، واعتبرت كل معرفة لا تمر عبر الحواس والتجربة ضربًا من اللاعقلانية.

لقد تعاملت كثير من العلوم الإنسانية، بما فيها علم النفس الغربي، مع الإنسان باعتباره كائنًا مكتفيًا بوعيه الظاهر، متغافلة في الغالب عن الأثر الغيبي غير المرئي في تشكيل سلوكه ووعيه، وفي طليعة ذلك: دور الشيطان، ولا يُعزى هذا الإغفال إلى مجرد نقص في الأدلة أو تحيز منهجي، بل إلى أساس فلسفي مادي ينكر ما لا يُدرك بالحس والتجربة، ومن هنا تتجلّى الحاجة إلى استعادة البعد الغيبي ضمن الفهم التربوي، لا باعتباره عاملًا تفسيرياً فحسب، بل كمصدر توجيهي وضابط سلوكي، خاصة في المنظور الإسلامي الذي يربط بين أفعال الإنسان ووساوس الشيطان، ويحثّ على مواجهتها عبر أدوات معرفية، وسلوكية.

وانطلاقًا من هذا التصور، تبرز الحاجة الملحّة لتناول قضية الشيطان من زاوية تربوية تتجاوز مجرد سرد النصوص، إلى تحليل خطابه كما ورد في القرآن الكريم، والكشف عن آليات تأثيره في تشكيل الوعي الفردي، ورصد أنماط حضوره في النفس والمجتمع، كما يستدعي الأمر إبراز الدور التربوي المنوط بالمربين في تعزيز المناعة النفسية والإيمانية لمواجهة غوايته،

فالتحدي الحقيقي لا يكمن في وجود الشيطان، بل في غياب الوعي به في الفكر التربوي المعاصر، وفي تجاهل أدواته الخفية التي تمتد في حياة الإنسان من عالم الغيب.

مشكلة الدراسة:

رغم الحضور القوي والمتكرر لمفهوم الشيطان في القرآن الكريم والسنة النبوية، بوصفه عدوًا دائمًا يسعى لإضلال الإنسان عبر طرق خفية ودقيقة، إلا أن هذا المفهوم يكاد يغيب عن الطرح التربوي المعاصر، ففي السياقات الغربية، يهمَّش الحديث عنه نتيجة الرؤية المادية التي تستبعد الغيب والخبر من مصادر المعرفة، وحتى في بعض المناهج الإسلامية، يُتناول الشيطان كموضوع عقدي نظري، دون إبراز أثره التربوي الفعّال، ودون تسليط الضوء على أبعاده النفسية والسلوكية والتكوينية في حياة الإنسان.

ويُعدّ تغييب الحديث عن الشيطان أمرًا مقلقًا من حيث أثره على وعي الأفراد، خصوصًا في ظل التمدد الخفي والمتزايد لوسائله في حياة الناس، وتراجع الحس التحذيري تجاه وساوسه، فقد أغفل الخطاب التربوي السائد التعامل مع الشيطان كفاعل تربوي سلبي ينبغي رصده، وتحليل مداخله، واستنباط سبل الوقاية منه، ويتطلّب ذلك العودة إلى الرؤية القرآنية الأصيلة التي تقدم الشيطان كعدو دائم، حاضر في النفس والمجتمع، كما يتطلب تربية واعية ويقظة تحصّن الإنسان من الوقوع في شِراكه.

وقد أخبر الله عز وجل في نهاية المطاف أن الشيطان قد أضل خلقًا كثيرًا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: 60] فبدل أن تكون العلاقة معه علاقة عداء، يخبرنا الله عز وجل أنها استحالت لدى الكثير علاقة عبودية، وهي طاعته واتباعه، ثم يقول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: 62].

وعليه، فإن كثرة النصوص الشرعية التي تحذر من الشيطان تكشف بجلاء عن حجم حضوره وخطورته، مما يفرض ضرورة إعادة بناء مفهوم الشيطان داخل الحقل التربوي، تأصيلاً واستثمارًا، فليس الشيطان مجرد عنصر عقدي معزول، بل هو مكوّن جوهري في النظرية التربوية الإسلامية، يتداخل مع مفاهيم مركزية كالغفلة، الهوى، الوسوسة، الإضلال، التوبة، والمجاهدة، وله أثر مباشر في تشكيل الوعي، وتوجيه السلوك، وبناء المنظومة القيمية، وهذا ما تغفله نظريات التربية الغربية، رغم ما تبديه من اهتمام ظاهري بتكوين الذات وتنميتها.

هذا الإغفال قديم، إذ لاحظ ابن قيم الجوزية(1991) اعتناء أهل التربية والسلوك بما يتعلق بالنفس أكثر من عنايتهم بالشيطان، فقال في كتابه المختص بهذا الشأن : والمتأخرون من أرباب السلوك لم يعتنوا به اعتناءهم بذكر النفس وعيوبها وآفاتها، فإنهم توسعوا في ذلك، وقصروا في هذا الباب، ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان وكيده ومحاربته أكثر من ذكر النفس، فإن مواطن النفس في القرآن محدودة، وأما الشيطان فذكر في عدة مواضع وأفردت له سورة تامة -سورة الجن- فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس.

من أجل ذلك تولد لدى الباحث سؤال رئيس وهو: ما التصور التربوي الإسلامي للشيطان وأثره؟

ينبثق عن هذا السؤال عدد من الأسئلة الفرعية وهي:

1- من هو الشيطان؟ وما أساليب غوايته في ضوء القرآن الكريم؟
2- ما الرؤية التربوية الإسلامية للوقاية من الشيطان؟
3- ما التصور السائد في الفكر التربوي الحديث عن الشيطان؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق هدف رئيس يتمثل في بناء تصور تربوي إسلامي عن الشيطان مبني على نصوص القرآن الكريم، بطابع يركز على الجانب التربوي، ولتحقيق هذا الهدف، ثمة أهداف تربوية فرعية تنبثق عنه وهي:

1- استقراء التصور التربوي الإسلامي للشيطان في ضوء القرآن الكريم.
2- بيان لأبرز أساليب الغواية الشيطانية.
3- تكوين رؤية تربوية إسلامية متكاملة للتعامل مع الشيطان.
4- توضيح التصور السائد في الفكر التربوي للحديث المتعلق بالشيطان.

أهمية الدراسة:

1- تستمد الدراسة أهميتها من مدى أهمية إطارها المرجعي وهو القرآن الكريم.
2- تساهم الدراسة في بلورة مفهوم تربوي لمهدد رئيس في الخطاب الشرعي وهو الشيطان.
3- الحاجة الملحة لتكوين قاعدة معرفية تربوية لآلية التعامل مع الشيطان.
4- يأمل الباحث أن تفتح هذه الدراسة نوافذ للباحثين التربويين لتناول موضوعات منبثقة من الدراسة تساهم في زيادة بلورة هذا المفهوم.
5- يأمل الباحث أن تشكل الدراسة مادة علمية يمكن الاستعانة بها في برامج تدريبية أو تربوية أو إرشادية لنشر الوعي بمضمونها.

حدود الدراسة:

ليس للدراسة حدود زمانية أو مكانية، ولكن لها حدود موضوعية تتمثل في تكوين تصور تربوي إسلامي عن الشيطان وطرق التعامل معه في ضوء القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي لتتبع وتحليل نصوص القرآن الكريم التي تناولت كل ما يتعلق بالشيطان وتأثيره.

مصطلحات الدراسة:

إبليس:

لغة: جاء في المعاجم: إبليس مشتقٌّ من "أبلَسَ"، أي يَئِس، فيُقال: أبلَسَ من رحمة الله، أي يئس منها وانقطع رجاؤه. وجاء فيها: "وأبلسَ: انقطَع من الخير ويئِس، وإبليس: اسم أعجمي لا اشتقاق له عند جماعة من أهل اللغة، وقال بعضهم: هو من الإبلاس وهو اليأس والحزن" (ابن منظور، 2003؛ الفيروز آبادي، 1998).

اصطلاحًا: هو علم مخلوق، خلقه الله تعالى من النار، وقام بعمله ما شاء الله أن يقوم، ثم عصى ربه واستكبر، فطرده من رحمته، فهبط إلى الأرض، وأصبحت الشيطنة صفة ملازمة له (الطبري، 2000).

الشيطان:

لغة: الشيطان في اللغة مأخوذ من الجذر (شَطَنَ)، وله معنيان أساسيان:

1-البُعد:

الشيطان مشتق من "شطن" بمعنى بَعُدَ، أي: بعد عن الخير، أو بعد عن طاعة الله.

قال ابن منظور: "الشَّيْطَانُ: كل عاتٍ متمرّد من الجن والإنس والدواب وكل شيء، وقيل: شَيْطَانٌ من شَطَنَ إذا بَعُدَ؛ فهو بَعِيدٌ بطبعه من طباع البشر، وبَعُد عن كل خير ." (2003: 226/13).

2- الاحتراق

وقيل: من "شَيَطَ" أي احترق، وهو مأخوذ من النار أو محروق بها.

قال الفيروز آبادي (1998): الشيطان: مأخوذ من شاط يشِيط شَيْطًا إذا احترق، كأنه مُحْتَرِق أو مُحْرِق .

ومنهم من رجّح المعنى الأول (البُعد)، لأن الشيطان بعيد عن الخير، وهو الأليق بمقام العداوة.

وفي الاصطلاح ثمة رابط مشترك بين تعريفاته، وهو ما بينه الراغب الأصفهاني (1992) والجرجاني (1403) من أنه: عبارة عن كل متمرّد من الجن والإنس والدواب وكل ما عتا وطغى.

المبحث الأول: مفهوم الشيطان في ضوء القرآن الكريم

لا يمكن تصور الشيطان تصورًا يطابق أوصافه وأساليبه إلا عبر القرآن الكريم والسنة النبوية، فلا العلم يجيب عن هذا السؤال، ولا الكتب السماوية السابقة التي طالها التحريف، وقد قام الملاحمة (2016) بدراسة عنوانها (الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن: دراسة مقارنة) هدف من خلالها إلى بيان مفهوم الشيطان وضرره ومصيره عبر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، وجعل ضابط النص في القبول أو الرد هو القرآن الكريم، وهدف من استعراض نصوص التوراة والإنجيل إلى معرفة الصورة الذهنية للشيطان التي تأثرت بها المجتمعات التي تؤمن بها، ولربما طال المسلمين شيء من ثقافاتهم، واستخدم الباحث في دراسته المنهج التحليلي والمقارن، وخلص الباحث إلى عدد من النتائج ومن أبرزها: أن التوراة والإنجيل قد خالفت القرآن الكريم في مواطن عدة، حيث رأت أن للشيطان مطلق القدرة والسطوة بخلاف القرآن الكريم الذي وصف كيد الشيطان بأنه ضعيف، كما أن التحريف طال التوراة والإنجيل في تصوير الشيطان بأنه ملك مقرب، أو خازن للجنة، بعيدًا عن رؤية القرآن الكريم التي وصفته بأنه من الجن وقد فسق عن أمر ربه.

وقد استقرأ الباحث لفظة الشيطان وتصريفاتها في القرآن الكريم حيث تكررت ثمانيَ وثمانين مرة، بينما ورد ذكر إبليس في إحدى عشرة آية، وكان الهدف من ذلك تشكيل صورة قرآنية عن الشيطان، وتتبع سياقات ذكره، ومحاولة تصنيفها إلى مجالات عدة، ولربما اشتركت الآية الواحدة في عدد من المجالات وذلك بحسب تعدد الوجوه التي يشير لها سياق الآية، وسوف أخصص هذا المبحث للجانب الوصفي للشيطان الرجيم، وأجعل الآيات الواردة في سبل الحصانة منه ضمن مبحث آخر.

أولاً: سمات الشيطان الرجيم الواردة في القرآن الكريم

1- السمات الظاهرة

بيّن الله عز وجل سمات هذا العدو بمختلف أنواعها، ليكون الإنسان على بينة من طبيعة عدوه الأزلي، فالشيطان من الجن، وقد ذكر الله عز وجل بعض الآيات التي يستنبط منها بعض خصائصهم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] فتبين من هذه الآية أن لهم قلوبا وأعينا وآذانا، وأنهم يستطيعون رؤية البشر دون أن يراهم البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27] وقال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: 64] فتبين من هذه الآية أن الشيطان يتكلم وله صوت، ولهم سرعة الانتقال التي لا تقارن

بالبشر، يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: 39]، وكذلك قدرتهم على صعود السماء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: 8].

2- السمات الباطنة

اتسم الشيطان بعدد من سمات السوء، إلا أن السمة الأبرز هي الكفر، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27].

ورغم كثرة التحذير من الشيطان وأساليب غوايته، إلا أن الله عز وجل قد أخبرنا عن سمة مهمة له، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]، فحتى لا يتصور البشر أنه يمتلك قدرات لا قدرة لهم علها، بين الله تعالى أن كيده ضعيف لمن وعى عداوته، واستعاذ منه، واعتصم بربه، كما قد يظن البعض أن للشياطين قدرة على علم الغيب، نظرًا لسماتهم الخاصة، إلا أن الله تعالى يبين خلاف ذلك في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14].

كما أن من سماته الملاصقة له الغرور، فسماه الله بذلك صراحة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33] ويصف الله وعوده بالغرور، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: 120].

وكذلك من طبيعته الخذلان، التي حكاها الله تعالى في قوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 29] ويتضح الخذلان بالممارسة الفعلية في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16] وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48] وهذا الخذلان هو المتوقع ممن وصمه الله بالتمرد في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: 117]

ثانيًا: ذكر الشيطان في سياق قصة آدم عليه السلام

استحوذ موقف إبليس مع نبي الله آدم عليه السلام على شطر غير يسير من سياق الآيات التي تناولت قصته عليه السلام، وما ذلك إلا من صور العناية الفائقة من الله سبحانه للتحذير منه، ولإثبات عداوته الأزلية، وسبل غوايته، وغايته التي صرح بها، وإن مما يثير التنبه إلى خطورة هذا العدو أن الله عز وجل حين خلق آدم عليه السلام وأسكنه الجنة؛ حذره من الشيطان على العموم، وحذره من أكل الشجرة على وجه الخصوص، وما كان من نبي الله آدم عليه السلام إلا أن امتثل إلى أمر ربه، حتى مارس معه الشيطان أساليب الغواية المتنوعة، التي حملته على ما كان، لحكمة إلهية مسبقة، جرى على إثرها بيان خطر العدو الأول، وسبل التوبة حال الوقوع في شراكه.

إذ ينبغي أن يشكل هذا الحدث تأسيسًا لفهم تربوي عميق لطبيعة الصراع مع الشيطان، وتحفيز الإنسان - خاصة المربّين والباحثين في مجال التربية - إلى تفعيل هذا الوعي في الخطاب التربوي، وجعله جزءًا من بنية التكوين النفسي والإيماني للأجيال.

وجدير بالذكر التفرقة بين الشيطان وإبليس بحسب ما ورد في القرآن الكريم، فقد هدفت دراسة الحمدو ويشار(2023) وعنوانها: "التحليل الدلالي والجوهري لمفاهيم الشيطان وإبليس في القرآن الكريم"، إلى تحليل مفهوم إبليس والشيطان، والفروق الدلالية والجوهرية بينهما، من خلال تتبعها في سياقاتها في القرآن عبر المنهج الاستقرائي، كما هدفت إلى

فهم الأفعال والصفات المنسوبة إلى الشيطان بشكل أفضل والتي كانت سببًا في تسمية إبليس بالشيطان، وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج من أبرزها: أن إبليس هو ذلك المخلوق الرافض الذي أبى السجود لآدم عليه السلام، أما الشيطان فهو وصف لإبليس وعمله في غواية غيره بالشر والفساد والوسوسة.

الإعلان الأول للعداوة:

ابتدأت قصة العداوة بعد خلق الله تعالى لنبيه آدم عليه السلام، ثم أمر الله تعالى بالسجود إليه، سجود تكريم، فسجد الملائكة كلهم، ورفض إبليس أمر ربه، فأورد الله تعالى ذلك في عدد من الآيات، وتجلى من كل آية مضمون لوصف هذا العدو الأول، ونشير إلى ما يخدم سياق الدراسة، وإلا فمجمل القصة تحوي من التفاصيل التربوية الجديرة بالبحث والنظر.

وهذا ما قام به حمايل (2014) في دراسته التي عنون لها بـ"الأسلوب القرآني بين التشابه والاختلاف في دلالات الألفاظ والمعاني من منظور تربوي: قصة خلق آدم عليه السلام ودور إبليس فيها كما وردت في القرآن الكريم-دراسة تحليلية-".

وقد هدفت تلك الدراسة إلى تحليل الآيات الواردة في السور السبع المذكور فيها قصة آدم عليه السلام ودور إبليس، للتعرف على معاني الألفاظ المتشابهة ودلالاتها والاستدلال على التشابه والاختلاف فيها، وصولاً إلى استنباط الأساليب التربوية المنبثقة عن الأسلوب القرآني، وقد استخدم الباحث لذلك المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستدلالي الاستنباطي، وخلص إلى عدد من النتائج، ومن أبرزها: استنباط الباحث من أجوبة إبليس عددا من النقاط، منها: اعتراف إبليس بربه، وعجزه عن التصرف إلا بإذن ربه حال طلبه الإنظار، واعترافه باليوم الآخر، واستثناؤه للمخلصين الذين لن يقدر على غوايتهم، كما بين إبليس كافة الأسلحة التي سيستخدمها، والجهات التي سيأتي منها وليس من بينها الجهة العلوية خوفًا من الله، ولا السفلى التي تتناقض مع كبريائه وغروره.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11] يتضح من الآية السابقة الإعلان الأول للعداوة، والتي تمثلت في رفض إبليس لأمر ربه بالسجود لآدم عليه السلام، ثم اتضحت العلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34] فهنا يتضح من الآية كبر إبليس وإعلانه للكفر، ثم يعلل إبليس رفضه للسجود وهو جوهر الكبر الذي ذكره الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:61] فهذا تصريح بالكبر، كما أنها اعتراض على خلق الله ومشيئته، وادعاء بالتزكية وأن علمه يفوق علم الله الذي قال إني أعلم ما لا تعلمون، فهو يبين عن ذلك بقبح فاضح في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12].

مآلات الرفض الإبليسي:

بين الله عز وجل انطلاقًا من هذا الرفض والتعالي وإعلان العداوة الأول أن هذا سبب كفيل شرعًا وعقلاً لاتخاذه عدوًا، وفي اتخاذه وليا من دون الله عجب وظلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

ثم بين الله طبيعة العلاقة معه التي ترتبت على رفضه للسجود وعداوته لآدم وبنيه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ١١٦ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: 116-117] فنص الله عز وجل صراحة على عداوة إبليس، وأنه سيسعى جاهدًا لإخراج آدم عليه السلام وزوجه من الجنة، وأنه سيصرف بني آدم عن الجنة.

كما ترتب على ذلك عقاب ولعنة لحقت بإبليس إلى يوم الدين، لتزيد من شؤمه وشؤم اتباعه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ 34 وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: 34-35] فاستوجب بذلك الرجم وهو الإبعاد عن كل خير، وكذلك اللعنة، كما وصمه الله تعالى بأنه من الصاغرين الأذلاء، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13]، وأنه ممقوت مطرود من رحمة الله، قال تعالى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18]

وعلى إثر طرد الله تعالى لإبليس من رحمته، طلب من ربه أن ينظره، وعلل هذا الإنظار بأبرز غواياته التي يستهدف بها بني آدم، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ14 قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ 15 قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ 16ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 14-17]

الغواية الأولى:

بعد أن رفض إبليس أمر ربه، وحقت عليه اللعنة والطرد، أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة، وحذرهما من عدوهما بالعموم، ومن أكل الشجرة على وجه الخصوص، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35].

ثم بدأ إبليس بممارسة أولى غواياته التي نجحت، رغم تحذير الله تعالى لآدم عليه السلام، وتعيينه لخصوصية المحذور وهو أكل الشجرة، بل إن الزمن بين التحذير وأكلهما من الشجرة غير بعيد، والدليل قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ قال ابن عاشور (1984): كانت وسوسة الشيطان بقرب نهي آدم عن الأكل من الشجرة، فعبر عن القرب بحرف التعقيب إشارة إلى أنه قرب قريب، لأن تعقيب كل شيء بحسبه.

غير أن قدر الله السابق قضى بذلك لحكمة بالغة، وفيها دلالة على خطورة هذا العدو، وتلون أساليبه، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى 120 فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: 120-121].

ثم أخبرهما الله عز وجل بكلمات التوبة والاستغفار، لتكون منهجًا له ولبنيه من بعده، كلما استزلهم الشيطان، أو غلبتهم أنفسهم على المعصية، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾]البقرة: 37] وفي سورة الأعراف يبين الله تعالى هذه الكلمات بقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

ثم أمرهما الله تعالى بالهبوط إلى الأرض، في رحلة ابتلاء واختبار، هما وعدوهما، ولا تزال هذه العداوة مستمرة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: 36].

وقد سعى الباحثان السنجري وحسين (2022) لتحليل الخطابات التي أطلقها إبليس في سياق حديثه مع آدم عليه السلام، التي آلت إلى إخراجه مما كان فيه، وعنونا دراستهما بـ"دلالات أفانين خطاب إبليس لآدم عليه السلام في القرآن الكريم"، ومن ثم فإن تحليلها سيزيد من عمق فهم أساليب الشيطان، وخلصا إلى عدد من النتائج من أبرزها: أن الخطاب كان متسلسلاً من ناحية ترتيب الأفكار، وناجع من ناحية النتائج، إذ إنه كان بجمل معدودة، استهلها باستفهام يشد السامع، وإغراء وقسم في سياق النصيحة.

ثالثًا: أساليب غواية الشيطان في القرآن الكريم

يمثّل إبليس رأس جبهة العداء الأزلية للإنسان، وقد صرّح في القرآن الكريم بنيته الواضحة لإضلال بني آدم وصدّهم عن صراط الله المستقيم، فقال تعالى على لسانه: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 39]. ومن هنا، فإن فهم الأساليب التي يسلكها إبليس في غوايته لبني آدم ضرورة تربوية ملحّة، إذ لا يمكن مواجهة هذا العدو إلا بإدراك دقيق لمنهجيته، وخطابه، وأدواته في الإضلال.

وقد تنوعت أساليب الشيطان في ضوء ما ورد في نصوص الوحي بين الوسوسة والتزيين والتدرج والخداع والتلبيس، وكلها تعمل في مسارات دقيقة تستهدف مكونات الإنسان الثلاث: العقل، والنفس، والسلوك. وتزداد خطورة هذه الأساليب حين تتقنع بقناع الخير، أو تتسلل من خلال العادات والبيئة، أو تتكئ على دوافع داخلية، فيصعب تمييزها من ظاهرها، ويقع فيها الغافل.

وسعت المديهش والعيسي (2021) في دراستهما المعنونة بـ"المضامين التربوية المستنبطة من حديث القرآن الكريم عن الشيطان الرجيم وتطبيقاتها في المجتمع"؛ إلى التعرف على المضامين التربوية والإيمانية والأخلاقية والاجتماعية من خلال آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الشيطان الرجيم، واعتمدت الباحثتان في دراستهما على المنهج الاستنباطي، وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: أن العداء الأزلي بين الشيطان والإنسان هو جذر كثير من المشكلات التربوية والاجتماعية، وتزداد تعقيدًا بقدر غفلة الفرد والمجتمع بمؤسساته عن إعطاء هذه القضية الاهتمام الذي أولاها الله تعالى إياه في كتابه، وحمل الإنسان مسؤوليتها.

ومن ثم فإن إدراك هذه الأساليب لا يندرج في باب المعرفة المجردة، بل هو شرط لازم لتحصين الذات وتربية الأجيال على الوعي العقدي والسلوكي، وهو ما يجعل دراسة أساليب غواية إبليس مدخلًا رئيسًا لفهم منظومة التربية القرآنية، ومفتاحًا للنجاة من الفتنة التي جعلها الله فتنة اختبار وابتلاء، وتتمثل أساليبه فيما يلي:

1-الوسوسة

الوسوسة: هي الكلام الخفي الذي لا يسمعه إلا المداني للمتكلم، وسمي إلقاء الشيطان وسوسة: لأنه ألقى إليهما (آدم وحواء) تسويلاً خفيًا كهيئة الغاش الماكر إذ يخفي كلامًا عن الحاضرين كيلا يفسدوا عليه غشه بفضح مضاره (ابن عاشور، 1984).

وكان هذا هو الأسلوب الأول الذي مارسه إبليس، والذي استخدمه مع آدم عليه السلام وزوجه، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120].

وقد أنزل الله عز وجل سورة كاملة تتعلق بالوسوسة والاستعاذة من الوسواس وهي سورة الناس، فاستهلها الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1] ثم بين أنه ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: 2] ثم أعقبها بقوله: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: 3] وفي ذلك حكمة ذكرها ابن عاشور (1984) فقال: وقد رتبت أوصاف الله بالنسبة إلى الناس ترتيبا مدرجا، فإن الله خالقهم، ثم هم غير خارجين عن حكمه إذا شاء أن يتصرف في شئونهم، ثم زيد بيانا بوصف إلهيته لهم ليتبين أن ربوبيته لهم وحاكميته فيهم ليست كربوبية بعضهم بعضا وحاكمية بعضهم في بعض. وفي هذا الترتيب إشعار أيضا بمراتب النظر في معرفة الله تعالى، فإن الناظر يعلن بادئ ذي بدء بأن له ربا بسبب ما يشعر به من وجود نفسه ونعمة تركيبه، ثم يتغلغل في النظر فيشعر بأن ربه هو الملك الحق الغني عن الخلق، ثم يعلم أنه المستحق للعبادة فهو إله الناس كلهم.

ثم قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4] والخناس الذي يخنس ويختفي، وقال ابن عباس عن اقتران الوسواس بالخناس: أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس (الطبري، 2000).

وهنا لطيفة يذكرها ابن قيم الجوزية (1410) في تفسيره حيث إن الله تعالى لم يقل: من شر وسوسته: لتعم الاستعاذة شره جميعه، فإن قوله: مِن شَرِّ الوَسْواسِ يعم كل شره، ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شرا، وأقواها تأثيرا وأعمها فسادا، وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة، فإن القلب يكون فارغا من الشر والمعصية فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويمنيه، ويشهيه، فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها، ويخيلها له في خياله، حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة.

ثم لا يزال يمثل له ويخيل ويمني ويشهي وينسي علمه بضررها، ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة، فيشتد الحرص عليها من القلب.

وتأمل السر في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: 5] ولم يقل: في قلوبهم والصدر: هو ساحة القلب وبيته. فمنه تدخل الواردات إليه، فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب، فهو بمنزلة الدهليز له، ومن القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود، ومن فهم هذا فهم قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما في صُدُورِكم ولِيُمَحِّصَ ما في قُلُوبِكُمْ﴾ (ابن قيم الجوزية، 1410).

2-الأماني

والتَّمَنِّي :الكَذِب، تَفَعُّل مِن مَنَى يَمْنِي إذا قَدَّر لأَن الكاذب يقدر في نَفْسِهِ الْحَدِيثَ ثُم يَقولُهُ، ويقَالُ للأَحاديث التِي تُتَمَنَّى الأَمَانِيُّ، وَاحِدَتُهَا أُمْنِيَّةٌ؛ وَفِي قَصِيدِ كَعْبٍ:

فَلَا يغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وعَدَتْ إنَّ الأَمَانِيَّ والأَحْلامَ تَضلِيلُ

وتَمَنَّى :كَذَبَ ووضَعَ حَدِيثًا لَا أَصل لَهُ .وتَمَنَّى الحَديث :اخْتَرَعَهُ. وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ دَأْبٍ وَهُوَ يُحدِّث :أَهذا شَيْءٌ رَوَيْتَه أَم شَيْءٌ تَمَنَّيْته؟ مَعْنَاهُ افْتَعَلْتَه واخْتَلَقْته وَلَا أَصل لَهُ (ابن منظور، 2003).

تُعرَّف الأماني في السياق القرآني بأنها تمنيات نفسية لا يصحبها جهد عملي أو التزام واقعي، وقد ورد هذا المفهوم في مواضع عديدة تشير إلى تسويف العمل وركون النفس إلى رجاء كاذب، يفضي إلى الغفلة عن واجب الإصلاح، وهي إلقاء شيطاني يصرف عن العمل، ويعدل بصاحبه عن الحقائق إلى الأوهام، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123]، والمعنى في هذه الآية: أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: إنه هو المحق سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ أي: ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة الله، واتباع ما شرعه على ألسنة رسله الكرام (ابن كثير، 2018).

ومن ثم فإن التمني وهم، والحقيقة أن من يعمل سوءا سوف يجزيه الله به، ولن يجد له من يقيه من عقوبة الله.

وقد صرح الشيطان بهذه الوسيلة الإغوائية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: 119] فهنا تحدث صراحة بإلقاء الأماني والوعود الكاذبة التي تغر الإنسان وتصرفه عن البينة، كما أنه ذكر أنه سيأمرهم بتغيير خلق الله، فقد حكى الطبري (2000) أنه تغييرهم لدين الله عز وجل إذ إنه الفطرة التي فطر الناس عليها، وتغييرها للكفر هو تغيير لخلق الله.

إلا أنه ظهر وجه آخر لهذه الآية في العصر الحديث فهو ليس مجرد تهديد عابر، بل هو **منطلق تفسيري أصيل** لفهم كثير من الانحرافات المعاصرة، وعلى رأسها الشذوذ، الذي يمثّل أحد وجوه التمرد على خلق الله في الإنسان، فلئن كان قوم لوط قد مارسوا الشذوذ، فإننا في العصر الحديث نشهد فوق ممارسة الشذوذ التشريع له، وتغيير الجنس وجعله اختيارا

وحرية، والتأليب والتشنيع على من خالف ذلك، أو اعترض عليه، وهذه معضلة أخلاقية كبرى قل أن يلتفت لدور الشيطان في ترويجها رغم تصريحه بذلك.

ثم عقب الله عز وجل على هذه الأماني بقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: 120]، فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا إربك، وستعلو على أقرانك، والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها، والفرق بين وعده وتمنيته أن الوعد في الخير والتمنية في الطلب والإرادة، فيعده الباطل الذي لا حقيقة له - وهو الغرور - ويمنيه المحال الذي لا حاصل له، ومن تأمل أحوال أكثر الناس وجدهم متعلقين بوعده وتمنيه وهم لا يشعرون أنه يعد الباطل، ويمنى المحال، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذى بوعده وتمنيته (ابن قيم الجوزية،1410).

ثم تتبين مآلات هذه الأماني يوم القيامة، والتي بدأت بوعد كاذب وانتهت بعذاب مقيم، قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 14].

3-التزيين

يُعد التزيين من أقدم وأخبث وسائل الشيطان في الإغواء، إذ إنه استخدم جنبًا إلى جنب في خطاب إبليس لآدم عليه السلام، فقدم له أكل الشجرة المتمثل في معصية الله على أنه خلد وملك، وهو أسلوب يقوم على تقديم الباطل في صورة مقبولة، والمعصية في مظهر جذّاب، والمنكر على هيئة معروف، حتى يقع الإنسان في الخطيئة دون مقاومة داخلية، بل أحيانًا وهو يظن أنه على صواب. وللتزيين صلة وثيقة بالتلاعب الإدراكي، إذ يسهم الشيطان في تشويه الإدراك الأخلاقي لدى الإنسان، فيزيف الحقائق، ويطوّع المبررات.

ولأسلوب التزيين سياقات مختلفة، ومنها ما ذكره الله عز وجل في سياق هلاك المجتمعات، والذي يساهم فيه الشيطان بأسلوب التزيين الذي يبقي المجتمعات على أحوالها حتى لا تمارس التغيير الذي يدرأ عنها سنة الهلاك، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ٤٣ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 43- 44].

وقد يكون التزيين عقوبة من الله تعالى على يد الشيطان، نتيجة الكفر والإعراض، والنتيجة كما ذكرها الله تعالى هي سنة الهلاك، قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: 25].

وعلى سياق سنة الهلاك واستخدام الشيطان لأسلوب التزيين قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: 63]، فطالما اتخذوا تزيين الشيطان معيارًا للتصويب والتخطئة، فقد استحقوا بذلك أن يكون وليهم، ويبين الله تعالى اقتران هذين الأمرين ببعضهما في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30].

وكذلك استخدم الشيطان التزيين لهلاك الكافرين حتى يضمن استئصالهم على الكفر، وذلك في غزوة بدر، فحكى الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48].

ويبلغ التزيين منتهاه حين لا يقف عند عدم الرغبة في تغيير الواقع، بل استحسانه واعتقاد قبح غيره من الحق، فذكر الله تعالى على هذا المعنى:﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8] فهم يعملون أعمالاً سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه (ابن كثير، 2018).

وعلى ذات المعنى يحكي لنا ربنا هذا التحول المريع في سلوك الضالين الذين يرون فسادهم صلاحًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: 11] ثم يبين الله تعالى في الآية التي تليها غفلتهم عن غيهم وتبدل تصوراتهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 12].

بل إن الله عز وجل قد جعل أولئك المزيف واقعهم، والملتبس عليهم الحق، والذين قد استحوذ الشيطان على تصوراتهم، بأنهم أخسر الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا 103الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:103- 104].

3-الاستدراج

يُعد الاستدراج من أبرز أساليب الشيطان في إغواء الإنسان، وهو أسلوب دقيق يعتمد على التدرج النفسي والسلوكي في الإيقاع بالإنسان، حيث لا يُسقطه فجأة في المعصية، وإنما يُمرره في سلسلة من التنازلات كالتزيين والتبرير، ثم ينتهي بالوقوع في المحظور.

وقد حدث هذا في قصة آدم عليه السلام مع إبليس، حيث ذكر الله عز وجل ما يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22] استخدم القرآن لفظتين متقاربتين في اللفظ متعاكستين في المعنى وهما: أدلى ودلّى، وأدلى تعني: في الأصل من أدليت الدلو إذا أرسلتها لتملأها (ابن منظور،2003) وعادة إرسال الدلو فارغًا يكون دفعة واحدة، وفيه سرعة بخلاف دَلَّى الدَّلْوَ مِنَ البِئْرِ: جَذَبَها سَحَبَها لِيُخْرِجَها مَلْأَى فهذا الجذب يكون جذبة فأخرى، واستخدام هذا اللفظ في سياق الإغواء يوحي بالتدرج ومحاولة الإقناع حتى وصل لغايته وهو أكل الشجرة.

فنجد أن إبليس لم يأمر آدم عليه السلام بالأكل مباشرة من الشجرة، بل قال له: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120]، ثم في آية أخرى قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21] فهنا نجد أن إبليس أقسم لهما أنه ناصح لهما، ثم بين الله عز وجل أنهما أكلا منها، ولربما بين ذلك تدرج آخر في الحوار، والشاهد هنا هو استدراج إبليس الذي يبدأ من نقطة المقبول وينتهي إلى أقصى ما يستطيعه من المحظور.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] قال القرطبي (2006) في بيان الاستدراج: هو الأخذ بالتدريج، منزلة بعد منزلة، فالاستدراج أن يحط درجة بعد درجة إلى المقصود.

واستدراج الله عز وجل له صور شتى، ولربما كان تسليط الله تعالى للشياطين وما يحملونه من أساليب الاستدراج إحدى هذه الصور، فالشيطان يزين ويملي، ويغري، ويقدم الوعود، ويأخذ بالإنسان خطوة تلو الأخرى، حتى يصل إلى غايته، وكما ذكر ابن قيم الجوزية (1429) عن الشيطان أنه **يأتي العبد من باب صغير من أبواب الشر حتى يجره إلى باب عظيم منه، وقد كان يكرهه أول الأمر، فيسهل عليه شيئًا فشيئًا حتى يألفه.**

وهذا الاستدراج تناولته الدراسات النفسية الحديثة، غير أنها تعزل من ذلك تأثير الشيطان، وتدرسه دراسة محايدة، ومن ذلك ما يسمى بالانحدار السلوكي التدريجي ضمن مدرسة علم النفس السلوكي، ويقصد به أن السلوك الإنساني قد ينزلق تدريجيًا نحو الانحراف دون أن يدرك صاحبه، وقد بينت دراسة فريدمان وفرير Fraser, Freedman (1966) أن الأفراد أكثر قابلية لقبول سلوك غير مقبول إذا تم عرضه عليهم بشكل تدريجي، بدءًا من طلب صغير حتى يتم تطبيع السلوك الأكبر لاحقًا.

وهذا بالضبط ما يتقنه الشيطان في إغواء الإنسان، كما ذكر ابن قيم الجوزية (1424): أن أول ما يطلب من العبد خطرة، فإن تمكن منها صار فكرة، ثم يولدها شهوة، ثم يقويها إلى إرادة، ثم إلى عزيمة، ثم يعملها، فإن لم يتداركه الله بالتوبة صارت عادة، فيصعب عليه مفارقتها.

4-الخوف والحزن

إن الخوف والحزن شعوران من أسوأ المشاعر التي تعتاد الإنسان، لا سيما إن كانت في نطاقها غير الطبيعي وغير الشرعي، فالحزن لها جانب طبيعي لا يفقد الإنسان تعلقه بربه، كحزن يعقوب عليه السلام لفقد ابنه يوسف عليه السلام، إذ إنه علق حزنه بالله تعالى فقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86]، ودفعه الحزن إلى رجاء الله تعالى ودعاءه فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83]، وكذلك الخوف، فمنه جانب محمود كالخوف من الله عز وجل، وجانب طبيعي كالخوف من السقوط مثلاً ونحوه، وإنما الخوف المقصود هو ذلك الذي يحمل صاحبه على الشك في قدرة الله تعالى، أو اليأس منه، أو ضعف التوكل عليه.

قال تعالى: ﴿**إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا**﴾ [المجادلة: 10] وذلك لأن الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب للشيطان من حزن المؤمن، فالحزن مرض من أمراض القلب، يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره (ابن قيم الجوزية، 1410).

وعن الخوف قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175] فهنا يستخدم الشيطان شعور الخوف ليبثه في قلوب المؤمنين، فيأمرهم الله تعالى بألا يستجيبوا له، وأن يصرفوا الخوف لله عز وجل، وقال تعالى:﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268] وهنا كما يقول ابن كثير (2018): يخوف الشيطان المؤمنين من الفقر، ليصرفهم عن الإنفاق.

ونظرًا لمركزية المشاعر في تكوين الإنسان، وفي تشكيل سلوكه، فقد كانت مستهدفًا من مستهدفات إبليس، وقد قام لوبون (2016) في سياق دراسته لمعتقدات الإنسان، بوضع عدد من الفرضيات تتعلق بالمشاعر، ونستطيع من خلالها أن نتبين قدرة المشاعر في التأثير على السلوك والمعتقدات، ومدى خطورة تدخل الشيطان من خلالها، ويهمنا من مجمل فرضياته ثلاث منها، وهي:

1-عدم اتزان المشاعر يصنع فردًا تسهل قيادته.

2-المشاعر تولد أفكارًا تستدعي مشاعر مشابهة.

3-فوران المشاعر يجعلها تسيطر على السلوك، ويصعب تحكيم العقل حيالها.

فيرى لوبون أن اختلال التوازن العاطفي يُنتج فردًا يسهل توجيهه، وهي رؤية تتناغم مع ما تقرره النصوص الشرعية من التحذير من استحواذ مشاعر الحزن والخوف على الإنسان، لا سيما إذا كان مصدرها الوساوس الشيطانية، ففي هذا السياق، لا يُعد الحزن مجرد شعور عابر، بل يتحول إلى أداة لإضعاف الإرادة وبثّ الوهن في النفس، وتشير هذه الفرضية إلى أن الإنسان إذا فقد توازنه الشعوري، أصبح أكثر عرضة للتأثر بالعوامل الخارجية، وأقل قدرة على ممارسة ملكته النقدية، مما يفتح الباب أمام الآخرين -ومنهم الشيطان- لتوجيه سلوكه، أو دفعه نحو ما يخالف فطرته السليمة.

ومن هنا تبرز أهمية الاتزان الشعوري، والانتباه لمصادر الحزن، والخوف كركيزتين من ركائز التربية الوقائية، التي تسهم في حفظ وعي الإنسان، وتحصّنه من الانقياد اللاواعي، أو الاستلاب الفكري، وهذا ما يبرز عمق الرؤية التربوية في الإسلام، وحرصها على بناء الإنسان المتماسك نفسيًا، الواعي فكريًا، والمحصّن سلوكيًا.

في الفرضية الثانية التي يطرحها لوبون تتجلّى العلاقة التفاعلية بين العاطفة والفكر؛ إذ يمكن لمشاعر سلبية أولية، كالحزن أو الخوف، أن تفتح الباب أمام سلسلة من الأفكار التي تُغذي تلك المشاعر وتُضاعف أثرها، مما يؤدي إلى ترسيخ حالة ذهنية وسلوكية مأزومة. هذا التفاعل يُشكّل مدخلًا نفسيًا خطيرًا يستغله الشيطان، حيث يعمل على تضخيم هذه المشاعر وبناء بيئة داخلية مضطربة، تُهيّئ النفس لقبول وساوسه وتوجيهاته.

أما الفرضية الثالثة، فتُبرز آلية نفسية دقيقة؛ فحين تبلغ المشاعر ذروتها، يفقد الإنسان قدرته على التفكير المتزن والمنطقي، ويصبح أسيرًا لانفعالاته، لا موجّهًا ببصيرته أو إرادته الواعية، وهذا المشهد النفسي يتقاطع بدقة مع أسلوب الشيطان في التأثير، إذ يستهدف الإنسان من خلال إثارة مشاعر الخوف والحزن، حتى يغيب عنه استحضار الإيمان بقدرة الله، ويضعف توكله عليه، مما يجعله أكثر عرضة للانهيار النفسي والانقياد السلبي.

5-المسلك الاجتماعي

يُعدّ البناء الاجتماعي من الركائز الأساسية لاستقرار المجتمعات ونهضتها، وقد أولت الشريعة الإسلامية هذا الجانب عناية بالغة، لما تحققه الروابط الاجتماعية المتماسكة من ترسيخ للقيم، وتحصين للأفراد من مظاهر الانحراف والاضطراب، غير أن هذا البناء المتين ليس في مأمن من التهديد، ومن أبرز ما حذّر منه الوحي في هذا السياق: كيد الشيطان، الذي يُعدّ عدوًا لدين الإنسان ودنياه، فردًا كان أو مجتمعًا، فالشيطان يعمل على تقويض الأواصر الاجتماعية بكل وسيلة، فيُذكي نار العداوة والبغضاء، ويُحرّش بين القلوب، ويزرع الشك وسوء الظن، ويسعى إلى تفكيك الأسر، وبث الفساد في المجتمعات تحت شعارات مضلِّلة تخدع الغافلين، ومن هنا، فإن الوعي بهذه المهددات يُعدّ جزءًا من البناء الوقائي الذي يُحصّن المجتمع ويصونه من التصدّع والانهيار.

وقد دلّت نصوص القرآن والسنة على أن الشيطان لا يدّخر وسعًا في تقويض الروابط بين الناس، إذ قال تعالى: ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء**﴾ **[المائدة:91]. لقد بين الله عزوجل في مواطن عديدة في كتابه العزيز دور الشيطان في الفساد الاجتماعي، ومنها قوله تعالى:** ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5].

فهنا ينهى يعقوب ابنه يوسف عليهما السلام عن أن يقصص رؤياه على إخوته، حتى لا يتدخل الشيطان بينهم بإثارة الحسد، ويحملهم على أن يكيدوا له، ويتبين من هذه الآية كيف أن الشيطان قد يدخل بين الإخوة عبر أدنى سبب كالرؤيا التي تبشر بخير قادم، فكيف بتوفر أسباب أخرى تحفزه للإفساد بين الأسر، كالمشكلات الزوجية، أو غياب العدل بين الأبناء وغيرها.

وقال تعالى في ثنايا قصة موسى عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: 15]، فهذا خلاف مجتمعي، آل إلى قتل القبطي، وذكر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أنه نسب هذا القتل إلى غواية الشيطان، قال ابن عاشور (1984): قول موسى عليه السلام (هذا من عمل الشيطان) فيه إشارة إلى الضربة الشديدة التي تسببت في الموت، أو إلى الغضب الذي تسبب عليه موت القبطي، والمعنى: أن الشيطان أوقد غضبه حتى بالغ في شدة الوكز، ثم في قوله (إنه عدو مضل مبين) تعليل لكون شدة غضبه من عمل الشيطان، إذ لولا الخاطر الشيطاني لكفه الذي من شيعته، فلما كان الشيطان عدوًا للإنسان وكانت له مسالك إلى النفوس استدل موسى بفعله المؤدي إلى قتل النفس أنه ناشئ عن وسوسة الشيطان وغوايته.

وقد يلج الشيطان في المسلك الاجتماعي عبر تقديس الإرث الاجتماعي، وما كان عليه الآباء والأجداد، ولو خالف ذلك شرع الله تعالى، فيبين القرآن منهجًا سويًا بألا يكون الاتباع إلا على بصيرة، ولا يحمد هذا الاتباع حين يكون الآباء مخالفين لطريق الحق، تابعين للشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: 21].

ومن ذلك أيضًا إفساد الشيطان للعلاقات الزوجية عبر السحر وغيره، إذ إن السحرة يتعلمون من الشياطين شرورًا عدة، فقد نص الله تعالى على التفرقة بين الزوجين من بينها، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

وفي إطار الغواية الاجتماعية التي يُمارسها الشيطان، تبرز الفردانية كإحدى الأدوات المعاصرة الفاعلة في تفكيك الروابط الاجتماعية، وإضعاف الحسّ الجماعي، وتهميش مشاعر الانتماء، فقد أصبحت العلاقات عند كثير من الناس قائمة على المصلحة الذاتية والمنفعة الفردية، بعد أن جُرّدت من أسسها القيمية والدينية.

لقد نشأت هذه النزعة في أحضان الفلسفة الغربية الحديثة، التي رفعت من شأن "الذات الفردية" على حساب الجماعة، فأصبح الإنسان يقدّم مصلحته الخاصة على مصالح غيره، مما أضعف روح الإيثار، وأسهم في تفكك الأسرة، وتراجع الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والوطنية، وفي مثل هذا المناخ المضطرب، تتهيأ بيئة مثالية لسوء الظن، وقطيعة الأرحام، وغيرها من مظاهر التفكك الاجتماعي التي يجد فيها الشيطان ساحةً خصبةً لبثّ الفتنة والفساد.

وربما على السياق الاجتماعي أيضًا كانت النسبية الأخلاقية إفرازًا من إفرازات الشيطان على هيئة مفهوم فلسفي، إذ إن محصلة هذه النسبية أن تلغي مرجعية الدين، وما يحويه من قيم مطلقة، وتجعل الأفراد والمجتمعات مصدرَ تحسين القيم وتقبيحها، وهذه النسبية ستؤول بالضرورة إلى العدمية، وحالة من السيولة الأخلاقية والاجتماعية.

فليس شرطًا أن يكون تدخل الشيطان عبر الوسوسة فقط، بل قد يؤز المفكرين والفلاسفة والمنظمات إلى إنتاج أفكار أو تشريعات تقوض النسيج المجتمعي، وتنشئ الفرقة، تحت شعارات فلسفية، أو أنظمة وتشريعات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83].

المبحث الثاني: أساليب الوقاية من الشيطان

إن التربية الإسلامية، بما تتسم به من شمولية وواقعية، لم تقتصر على التحذير من خطر الشيطان، بل تجاوزت ذلك إلى بيان سبل الوقاية العملية التي تُعزّز مناعة الإنسان النفسية والفكرية، وتُبقيه متيقّظًا في وجه وساوس الشيطان المتكررة، وفي هذا الإطار، يُعد التوجيه القرآني ركيزة أساسية في بناء أدوات الحماية الذاتية؛ إذ يبدأ بغرس الوعي بوجود هذا العدو الخفيّ، ويُرشد إلى جملة من الممارسات اليومية التي تُسهم في ترسيخ الشخصية المؤمنة، الواعية، والمستقرة، القادرة على التمييز بين الخير والشر، والثبات في مواطن الفتنة والاضطراب.

ومن ثم فإن مفهوم الشيطان يعد مهددا تربويا ينبغي أن تُستمد أساليب الوقاية منه من القرآن والسنة، وهذا ما سعى له الحميد (2014) عبر دراسته المعنونة بـ(تربية الإنسان في القرآن الكريم: قصة آدم وحواء أنموذجًا)، والتي هدفت إلى: إبراز مفهوم التربية في القرآن بكل أساليبها، ومهدداتها التي يعد الشيطان أبرزها، مع استعراض هدايات القرآن الكريم المعينة لتجاوزها، وقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وخلص الباحث في دراسته إلى مجموعة من النتائج من

أبرزها: أن القرآن الكريم استخدم في هذه القصة أكثر الأساليب التربوية تأثيرًا كأسلوب التربية بالممارسة، والتربية بالأحداث، كما أن تكريم بني آدم يقابله مسؤولية التكليف، ويزيد من تحديه تربص إبليس، فمسؤولية الإنسان تكمن في المحافظة على موقعه المكرم عبر حمل أمانة التكليف.

وتتمثل أساليب الوقاية في المجالات التالية:

وقاية إيمانية:

تُعد الوقاية الإيمانية من الشيطان هي الركن الأبرز في حماية النفس من الغواية والانحراف، إذ تستمد قوتها من صلة العبد بربه، واستحضاره الدائم لمقامه وضعفه أمام فتنة الشيطان، وقد نص الله عز وجل على نفي سلطة الشيطان على المؤمنين المتوكلين وذلك في قوله تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 99]، فكل قربة تعبدية، وكل ما من شأنه زيادة الإيمان، فذلك حصن من الشيطان.

وعلى رأس هذه الوقاية القرآن الكريم إذ منه تُستمد مضامين الوقاية المختلفة، ولا بد فيه من التدبر والتفكر حتى تُستقى منه كافة المفاهيم، فهو الجامع لكل ما فيه نجاة للمسلم من عدوه الأول، بدءًا من إعلانه للعداوة وقصته مع أبي البشرية آدم عليه السلام وما تجلى فيها من رمزيات وأساليب العداء، مرورًا بتبيان كافة أساليبه، وسرد حضوره مع الأمم عبر التاريخ، وصولاً إلى سبل الوقاية منه، غير أن تحصيل عمق هذا الوعي يتطلب تدبرًا لكتاب الله عز وجل، وليس مجرد مرور عابر على آياته.

وقد بين الله عز وجل ذلك بربطه في ذات السياق بين غواية الشيطان وذكر القرآن، قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: 63] ثم ذكر الله عز وجل القرآن كسبيل للنجاة، يبين للناس الحقائق التي تزيل التزيين الذي تعرضت له الأمم الغابرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64].

كما ذكر الله عز وجل اقترانًا مشابهًا، وذلك حين ذكر أنه سبحانه قيض للكافرين قرناء زينوا لهم الباطل، فقال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: 25]

ثم ذكر قول أولئك الذين أملى عليهم قرناؤهم البعد عن كتاب الله الذي فيه نجاتهم، قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26] وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم: إنهم إن لم يلغوا فيه، واستمعوا له، وألقوا أذهانهم؛ أنهم لا يغلبون، فإن الحق غالب غير مغلوب، يعرف هذا أصحاب الحق وأعداؤه (السعدي، 2000).

وكذلك تكرر الاقتران في سورة الأعراف حيث وردت آيتان تتعلقان بالشياطين وغوايتهم، تلتهما آيتان تتعلقان بالوحي واتباعه وتعظيمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201-202] ثم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 203] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204].

وقد خص الله تعالى قراءة القرآن بالأمر بالتعوذ بالله من الشيطان، فهو يتدخل بشكل مخصوص كلما أراد المسلم قراءة القرآن ليصرف عنه الانتفاع به، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل: 98]. لقد أمر الله بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن، ذلك أن القرآن شفاء لما في الصدور فيذهب ما يلقيه الشيطان فيها من

الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمرّه الشيطان فيها، كما أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن مقصود القرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن (ابن قيم الجوزية، 1410).

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أذكارًا في صباح المسلم ومسائه، وفي سائر تصرفاته من نوم ويقظة، ودخوله للخلاء وغيرها، وهي أذكار من شأنها أن تربطه بالله عز وجل، وتديم صلته به، وتعيذه من الشيطان الرجيم، وقد قال لله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: 24]. وأداة الشيطان لمنع المسلم من الذكر هي النسيان، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ [الكهف: 63].

كما أن الدعاء يتضمن الارتباط بالله عز وجل، وطلب العون به، ليكون ملاذًا للمسلم من عدوه الذي يتربص به من كل مكان، وقد كان من الدعاء المحدد الذي أورده الله في كتابه على لسان امرأة عمران أنها تعيذ ابنتها من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

ومن الدعاء الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، الذي ورد في مواطن كثيرة من كتاب الله عز وجل، أمر بها الله عز وجل قبل قراءة القرآن، وعند الغضب أو الخصومة، وعند الإحساس بنزغ الشيطان، لتشمل الاستعاذة كل شأن المسلم.

وكذلك فإن الصلاة الخاشعة حصن من كل سوء بما في ذلك الشيطان، قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: 45]، وبضاعة الشيطان هي الأمر بالفحشاء والمنكر، لذلك كانت الصلاة وِجَاءً من ذلك، وليس أدل على نفور الشيطان من الصلاة من قول النبي صلى الله عليه وسلم:

" إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبل، فإذا ثوب بها أدبر ، فإذا قضي أقبل، حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول: اذكر كذا وكذا، حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعا، فإذا لم يدر ثلاثا صلى أو أربعا، سجد سجدتي السهو" (البخاري، 1400، ح3285)، فهو مدبر من النداء لها والإقامة، ثم مقبل ليشوش على المسلم أكثر عبادة يتصل من خلالها بربه.

إن هذه الوسائل تمثل تربية إيمانية متكاملة، لا تقتصر على الممارسات الظاهرة، بل تغذّي الوعي الإيماني العميق، وتبني حصانة داخلية تحمي النفس من تسلط الشيطان الخفي والمعلن.

وقاية مشاعرية:

اتضح فيما سبق أن من مسالك الغواية للشيطان الغواية على مستوى الشعور بين حزن وخوف، وقد بين الله عز وجل في ذات السياق دواء ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

فنجد أن الله تعالى أمر بصرف الخوف من الشيطان أو مما يثيره الشيطان من مخاوف إلى الخوف من الله تعالى، ذلك أن الخوف من الله يشكل مفهومًا مركزيًا في البناء التربوي الإسلامي، لما له من أثر وقائي داخلي يعزز مناعة النفس أمام المخاوف الزائفة، وعلى رأسها الخوف من الشيطان.

كما أن الخوف من الله يُعدّ من أعظم المقامات القلبية في التربية الإسلامية، وله أثر تربوي عميق في تقليل الخوف من الشيطان، وذلك لعدة أسباب تربوية وعقدية، وعلى رأسها: تقوية التوحيد وتعميق الاعتقاد بأن الضر والنفع بيد الله فقط، مما يُبطل أثر التهويل الشيطاني.

إن الخوف من الله حق مخافته يحمل صاحبه على دوام الذكر، والمحاسبة، وشدة المراقبة، والامتناع عن مواطن الزلل، وكل ذلك مما يقلل فرص تأثير الشيطان، التي يعد غياب واحدة منها بمثابة منفذ للشيطان.

وعن سياق شعور الحزن يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: 10].

ذكر الله تعالى أن شعور الحزن الناجم عن النجوى هو غاية من غايات الشيطان، وذكر على إثره أمرين:

الأول: أنه لن يضرهم إلا بإذن الله تعالى، فتقوية الاعتقاد بقضاء الله وقدره، وأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مفتاح من مفاتيح الخروج من سطوة الحزن، ذلك الشعور الذي يرمي إليه الشيطان بمختلف السبل.

الثاني: أمر الله عز وجل بالتوكل عليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج الرَّجلُ من بيتِه فقال بسمِ اللهِ توكَّلتُ على اللهِ لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ، يُقالُ له: حسبُك هُديتَ وكُفِيتَ ووقيت وتنحى عنه الشَّيطانُ"(المنذري، 1421، 2/ 378).

وهذان الأمران متلازمان في إكساب الفرد اتزانًا شعوريًا يقاوم به شعور الحزن، حين يعلم أنه بقدر الله تعالى، ويتوكل عليه، إذ إنه مقدر الأقدار، وهو الذي بيده أن يكشفها، وقد ذكر الله عز وجل ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22] فهنا تبين تقديره لكل شيء، ثم قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23].

ويرى Ellis (1991) مؤسس المدرسة العقلانية الانفعالية السلوكية، أن المشاعر السلبية لا تنشأ مباشرة من الأحداث الخارجية، بل من تفسيرات الإنسان لهذه الأحداث، فالأفكار غير المنطقية هي التي تُولّد مشاعر مثل القلق والحزن والإحباط، وليس الحدث ذاته.

فنجد أن للشيطان منفذا في بث التفسيرات التي تبعث على الخوف والحزن، بمعزل عن التوكل على الله، واستحضار الإيمان بقضائه وقدره، ونجد لذلك شاهدا في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

ونتيجة قراءتهم للحدث في إطار التوكل على الله، قال الله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 174] ثم بين الله تعالى أن ذلك كله تم بفعل الشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]

وقاية اجتماعية:

إن تفريق لُحمة المجتمع عمومًا، والأرحام خاصة، والأسرة والزوجين بشكل أخص؛ غاية من غايات الشيطان؛ ذلك أن الاجتماع والتعايش ينتج عنه ما لا يحصى من الطاعات والقربات، والتواصي بالحق، والتعاون على الصبر، بخلاف الفرقة التي ينشأ عنها عدد من الشرور، كالغيبة، والنميمة، والخوض في الأعراض، ومشاعر الحسد والبغض، من أجل ذلك صرح الله عز وجل بهذه الغاية الشيطانية، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ (المائدة: 91).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه، عن أسمى القربات الشيطانية التي يهديها الشياطين لإبليس فقال: " إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت" (مسلم، 1374، ح2813).

ولا غرو في ذلك، إذ إن الأسرة تُشكل اللبنة الأساسية في بناء القيم، ونقل الهوية، وتعزيز الانتماء الديني والأخلاقي، من أجل ذلك عني الشيطان بفك هذا الميثاق الذي أسماه الله عز وجل في كتابه العزيز بالميثاق الغليظ.

وقدم القرآن الكريم منظومة من الوصايا القرآنية التي تُعدّ سياجًا تربويًا واجتماعيًا يحمي العلاقات الإنسانية من التفكك، ويُبطِل مساعي الشيطان في إشاعة العداوة والبغضاء.

ومن أبرز وسائل الوقاية التي يُرشد إليها القرآن:

1-فصّل القرآن الكريم في شأن الزواج أيما تفصيل، مبرزًا كل ما تقوم به الأسرة، بل جعلها آية من الآيات الدالة عليه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]، ثم بين ملامح الإصلاح الأسري حال نشوء الخلاف بين الزوجين وبين مراحله وتفصيله، ثم ذكر تفاصيل الحقوق والواجبات حال الطلاق أو حال موت الزوج، لتبقى قدسية مصونة حتى بعد الانفصال، بل ذكر الله تعالى في نهاية آيات الطلاق في سورة البقرة الوصية التي ينبغي أن يلزمها الزوجان بعد انفصالهما، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237].

2-عني القرآن الكريم بإبراز قيمة الوالدين، وإجلالهما، ووجوب برهما، وفي ذلك حصانة للأسرة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 8]، فنجد أن الله تعالى أوصى ببرهما والإحسان إليهما، بل إن كفرهما لا يبيح عقوقهما، بل أمر الله بعدم الاستجابة لدعوتهما للكفر، والإحسان لهما رغم ذلك.

إن من إجلالهما أن جعل الله تعالى الإيصاء بالإحسان إليهما معطوفًا على دعوته للتوحيد، وأي شيء أعظم من توحيد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] كل ذلك يعكس عناية الإسلام ببر الوالدين، الذي ينعكس بدوره على صيانة الأسرة.

3-إصلاح ذات البين: حيث تُعد من أعظم القُربات، لأنها تُعيد اللحمة الاجتماعية وتمنع الشيطان من التغلغل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: 10)، فالخطاب هنا ليس مجرد توجيه أخلاقي، بل هو حصن اجتماعي من الفتنة والفرقة التي يستثمرها الشيطان، وقد نهى الله عز وجل عن الاعتداء، وأمر بالعدل والقسط بين الناس، كل ذلك لتعزيز هذه الأواصر التي تحصن المجتمع من داء الفرقة.

4-أمر الله عز وجل بحزمة من الأخلاق من شأنها أن تصون العلاقات بين البشر، ومنها: اجتناب الظن وسوء التأويل: لأن الشيطان يتسلل من باب التفسير السلبي للنوايا. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]، فالظنون تفسد الثقة وتغذي الشك، وهي بيئة خصبة لنفخ الشيطان، وكذلك التجسس الذي يفتح باب العداء على مصراعيه والذي يقود المرء على إثره إلى الغيبة نتيجة ما تبدى من التجسس.

ومن هذه الحزمة الأمر بانتقاء الألفاظ بين البشر، وصرح الله عز وجل بعلة ذلك، وهي أن الشيطان يستغل كل لفظة تقال ليجد من خلالها منفذًا يوغر الصدور، أو يوقظ الفتنة، فانتقاء الألفاظ يغلق هذا الباب دون الشيطان، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53].

5-أمر الله عز وجل برد السيئة بالحسنة: وهي وصية تربوية عليا، تكسر دائرة العداء قبل أن تستفحل. قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]. ثم أعقب ذلك بالأمر بالاستعاذة وقايةً من الغضب والنزغ الذي قد يبطل الإصلاح فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36]

وعليه، فإن الوقاية الاجتماعية من غواية الشيطان في القرآن تقوم على تعميق مفهوم الزواج ابتداء، وصيانة الأسرة، وغرس قيم الإصلاح، وحسن الظن، وكظم الغيظ، والدفع بالتي هي أحسن، واللجوء إلى الله عند التوتر، وهذه ليست مجرد وصايا خلقية، بل أدوات منهجية لبناء مجتمع عصيّ على التفكك، مستعصٍ على الشيطان.

وقاية فكرية:

مع تطور الفكر الإنساني، وخصوصًا في المجال التربوي، ظهرت نظريات وفلسفات أسهمت في تشكيل الوعي المعاصر وتوجيه مفاهيم التربية والمجتمع والسلوك الإنساني، غير أن المتأمل في بعض هذه الطروحات لا يخفى عليه ما تحمله من مضامين تتقاطع -بصورة ظاهرة أو خفية- مع غايات الشيطان التي نبّه إليها الوحي، مثل الترويج للفردانية المفرطة، والتشكيك في الغيبيات، والدعوة إلى فصل الدين عن الحياة، وبالنظر إلى ما تثبته النصوص الشرعية من قدرة الشيطان على الإغواء والإلهام السلبي، لا يُستبعد أن يكون له يد في التأثير على صياغة بعض هذه الأفكار أو الترويج لها، بما يخدم هدفه الأساس في إضلال الإنسان عن سبيل الحق.

ومن هنا تبرز أهمية تنمية الوعي النقدي تجاه هذه النظريات والفلسفات، وتفكيك بنيتها الفكرية، وردّ شبهها، ووزنها بميزان الوحي، باعتبار ذلك من أبرز صور الوقاية الفكرية التي تحصّن الإنسان من الغواية المبطّنة، والتي كثيرًا ما تتجلّى في أطر فلسفية جذابة أو شعارات "تقدمية" براقة، وقد أكّد الوحي أن الشياطين يُوحون إلى أوليائهم بالجدل في الباطل، ويبثّون الأفكار المنحرفة من خلال البشر، فيُصبح الإنسان ناقلًا لفكر مصدره في الأصل شيطاني، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121].

ومن خلال ما سبق من أجزاء هذا البحث تبين أن للشيطان غاية عليا، هي: صرف الناس عن عبادة الله، ومن ثم ما دونها من الشك في الله، وضعف الإيمان بالغيب، وتمجيد النفس، والاتكال على ما دون الله، وكذلك بث العداوة والبغضاء والفرقة بين أفراد المجتمع، وإنك لتجد هذه الغايات الشيطانية قد تمثلت في شكل فلسفات إنسانية، يؤول مخرجها النهائي إلى ما يريده الشيطان.

ومن أبرز هذه الفلسفات المعاصرة: الفردانية، التي ترفع من شأن الاستقلال والحرية المطلقة، في مقابل إضعاف قيم التضحية والمسؤولية الجماعية. وقد أسهم هذا التوجّه في انتشار أنماط حياتية تقلّل من أهمية الروابط الأسرية، وتروّج لفكرة أن الالتزامات العائلية تُقيّد حرية الفرد وتعيق نموه الذاتي، لكن هذه النزعة الفردانية لا تقف عند حدود الفرد، بل تمتد آثارها إلى البنية المجتمعية بأكملها؛ إذ تُقوّض نسيج العلاقات الاجتماعية، وتُضعف الانتماء، وتُهمّش المصلحة العامة لصالح النزعات الذاتية، مما يُهدد وحدة المجتمع وتماسكه الوطني، الذي يقوم أساسًا على التكاتف والتعاون وتقديم الغير.

ومن الفلسفات البارزة التي أسهمت في صياغة الوعي المعاصر أيضًا: الفلسفة المادية، التي تختزل الوجود الإنساني في بُعده المحسوس، وتنفي ما وراء المادة من روح وغيب. هذه الرؤية تُضعف الصلة بين الإنسان وربه، وتُحوّله إلى كائن محصور في عالم الظواهر، لا يرى من الوجود إلا ما تُدركه الحواس، وهذا الانحراف يتماشى تمامًا مع غاية الشيطان، التي تتمثل في قطع الإنسان عن مصدر هدايته، وصرفه عن التأمل في الغيب، وعن إدراك البُعد الروحي الذي يربطه بالله تعالى، ويمنحه المعنى الحقيقي للوجود.

ومن الفلسفات المؤثرة في تشكيل الفكر المعاصر: الفلسفة البراغماتية، التي تربط بين "الحق" و"المنفعة"، فتجعل تحقيق النجاح العملي أو النفع المباشر مقياسا للصواب، بغضّ النظر عن جانبه الأخلاقي، فضلاً عن بعده الديني، وهذه إحدى صور التزيين التي يُوظّفها الشيطان لصرف الناس عن الحق، بإلباس الباطل ثوبَ النجاح والفاعلية.

أما الفلسفة الوجودية، فقد أسهمت في نشر الشك في الغاية من الوجود، وإنكار الثوابت، والدعوة إلى حرية منفلتة من كل قيد ديني أو أخلاقي، مما فتح الباب واسعًا أمام الحيرة والتيه، وهي الحالة التي يسعى الشيطان إلى ترسيخها في النفس البشرية، لينقطع الإنسان عن ربه، وتضيع بوصلته في الحياة.

إن التلاقي الواضح بين أهداف الشيطان ومخرجات هذه الفلسفات الحديثة يُبرز خطورة الفكر المعاصر حين ينفصل عن الإيمان والفطرة، ويُظهر كيف يمكن للانحراف النظري أن يتحول إلى تهديد مباشر للقيم المجتمعية والروابط الإنسانية، ومن هنا تبرز أهمية الوعي بمصادر هذه الأفكار وخلفياتها الفلسفية، وتحليل أثرها الواقعي، لا سيما على الأسرة، التي تُعدّ الحصن الأخير في مواجهة موجات العبث الشيطاني والانحراف الفكري المتغلغل في كثير من التصورات الحديثة.

وتشمل التوعية الفكرية كذلك، أن يعي المجتمع بأن منتجات هذه الفلسفات ليست حبيسة الكتب، أو خلف أسوار مراكز الأبحاث والجامعات، فهي فلسفات تمتد تطبيقاتها لتصل إلى الهواتف في هيئة مقاطع مرئية، أو روايات أدبية، أو منشورات كتابية، وليس شرطًا أن من يروج لها يعي أبعادها الفلسفية، أو مآلاتها التربوية والفكرية، فلربما يكون متأثرا بهذا المنتج الفلسفي، ولا يملك حصانة فكرية، إلا أن حسن النوايا لا يقلل من ضرر الفعل، فهذا الإفراز قد يُبَث للمجتمعات عبر الصور الآنفة، وقد يُبَث عبر رواد مواقع التواصل الاجتماعي، بعيدًا عن مدى وعيهم بضرر محتواهم، ولذلك كان لزامًا ضمن الوقاية الفكرية أن يعي أفراد المجتمع بمآلات ما يتلقونه، بصرف النظر عن قائله، أو آلية طرحه التي تأخذ صورًا شتى.

ويدخل في هذه التوعية البعد عن مواطن الشبهات، التي قد يساوم الشخص فيها بدينه حين يغشاها بدون حصن وتأصيل، وهي مع الانفتاح الإعلامي باتت في متناول اليد، وقد حذر الله عز وجل من ارتياد هذه المجالس، وبيّن أن الشيطان هو من قد يُنسي الفرد ذلك النهيَ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 68]. ولئن كان التحذير يتعلق بالمجالسة، فإن ارتياد هذه المواطن إلكترونيا، ومتابعة من يبث هذا المحتوى، لتدخل في ذات النهي، لأن علة المجالسة هو محتواها، وهو عبر الإنترنت متحصل بأساليب أكثر جذبًا.

المبحث الثالث: مفهوم الشيطان في ضوء الفكر التربوي الحديث

شهد الفكر التربوي الحديث تطورًا لافتًا خلال القرنين الأخيرين، متأثرًا بجملة من التحولات الفلسفية الكبرى التي رافقت صعود الحداثة الغربية، ابتداءً من عصر التنوير، مرورًا بموجات العقلانية والعلموية، وصولًا إلى تيارات ما بعد الحداثة. وقد اتسم هذا التطور بالانتقال التدريجي من التفسيرات الدينية والغيبية للسلوك الإنساني، إلى مقاربات عقلانية وتجريبية تعتمد على الملاحظة والتحليل العلمي، متأثرة بروح العصر ومناهجه المعرفية.

ويركّز الفكر التربوي الحديث على فهم الإنسان وتشكيل سلوكه وتوجيهه استنادًا إلى أسس علمية ونفسية واجتماعية قابلة للرصد والتقويم، مع إقصاء المرجعيات الدينية أو الغيبية عن مركز العملية التربوية، وقد نتج عن هذا التحول إعادة صياغة جذرية للمفاهيم التربوية؛ إذ بات الإنسان يُنظر إليه ككائن قابل لإعادة التشكيل عبر تأثيرات البيئة والعوامل الخارجية، دون اعتبار لجوهره الروحي أو لعلاقته بخالقه في تفسير سلوكه وتفاعلاته.

كما أن الحداثة الغربية قامت على أساس مادي صلب، ينكر أي تأثير للعوامل الغيبية أو الروحية في تشكيل الواقع الإنساني، وقد أدى هذا المنظور إلى تفكيك الرؤية الشاملة للإنسان، وإلى فصل مفاهيم الخير والشر عن أي مرجعية ماورائية (المسيري، 2002).

وعلى الصعيد التربوي، أدّى هذا التوجّه المادي إلى نشوء نظريات تعليمية تُصوّر الإنسان باعتباره كائنًا بيولوجيًا واجتماعيًا يخضع لقوانين "المثير والاستجابة"، دون أدنى اعتبار للعوامل الغيبية أو البُعد الروحي والديني، وبهذا التوجه،

تقلّصت مساحة الغيب في التصورات التربوية الحديثة، بما في ذلك الإيمان بوجود الشياطين وأثرهم، بل تقلّصت مساحة الجانب المعنوي في فهم الإنسان بشكل عام، وقد بدأ هذا المسار مع الفلسفات الكبرى كالبراغماتية والوضعية، وامتد تأثيره إلى النظريات النفسية والتربوية، مثل التحليل النفسي والسلوكي، ثم تجلّى عمليًا في التطبيقات التعليمية والمناهج الدراسية، التي تمحورت حول الأداء والمهارة دون ربطها بالقيم أو الغايات العليا للوجود الإنساني.

وقد تنبه Miller (2000) إلى تأثير ذلك على التربية المتكاملة التي تعنى بكل جوانب الإنسان، وإلى أن النظم التعليمية الغربية تعاني من قصور واضح في دمج البعد الروحي في العملية التعليمية، حيث يتم تقديم الأخلاق كقيم مجردة دون ربطها بأي مرجعية غيبية. وأوضح أن هذا النهج يخلق فراغًا وجوديًا لدى المتعلمين.

ورغم ظهور بعض المحاولات المعاصرة لإعادة الروحانية إلى المجال التربوي، إلا أنها غالبًا ما تُقدَّم ضمن إطار عام ومُبهم، بعيدا عن السياق الديني الواضح والصريح، حيث يُركّز على مفاهيم فضفاضة كـ"الطاقة الكونية" أو "القوة الداخلية"، دون أي إشارة إلى المفاهيم الدينية المحددة التي تشكّل وعي الإنسان بحقيقته، ومن ضمنها الإيمان بوجود الشيطان وأثره في حياة الفرد والمجتمع. وبهذا تصبح هذه الروحانية المعاصرة قاصرة عن بناء تربية متكاملة تربط الإنسان بخالقه وتُحصّنه من المؤثرات الخفية التي أشار إليها الوحي.

وينبغي الإشارة في هذا السياق إلى ملمح مهم وهو: أن التربية الإسلامية لا تنكر فضل العلم النافع، ولا تمنع من الاستفادة من النظريات النفسية والتربوية المعاصرة، بل تدعو إلى طلب الحكمة حيثما وُجدت، ومن هذا المنطلق، فإن الانفتاح على النظريات التربوية الحديثة لا يتعارض مع الرؤية الإسلامية، شريطة أن يتم بوعيٍ نقدي وبصيرة منهجية.

فلا يُنكَر أن كثيرًا من النظريات التربوية الحديثة قد أسهمت في تطوير أساليب التعليم، وفهم مراحل النمو الإنساني، وتحسين آليات تعديل السلوك، وهذا فضل لا يُجحد، ولا ينبغي تجاهل أثره الإيجابي في الميدان التربوي، إلا أن الإشكال الجوهري يكمن في أن غالب هذه النظريات نشأ في بيئات مادية علمانية، وأُسِّس على تصوّرات جزئية لطبيعة الإنسان، لا تستوعب أبعاده الغيبية والروحية، ولا تنظر إليه كنفسٍ ذات صلة بخالقها، وأمانةٍ مكلّفة بالاختيار والهداية.

كما أن هذه النظريات -في معظمها- تُغفل تمامًا أثر الشيطان، ولا تعترف بوجوده كفاعل خفي يؤثر في النفس، ويوجّه السلوك عبر الوسوسة والتزيين، وهو غياب يُفقد العملية التربوية إحدى أهم زوايا الفهم الشامل لطبيعة الإنسان وصراعه الداخلي.

ومن هنا، فإن الهدف من هذا العرض ليس رفض هذه النظريات أو إنكار فوائدها، وإنما إبراز نواقصها العقدية والتفسيرية، وتنبيه المربي المسلم إلى ضرورة مراعاة ذلك عند التطبيق، حتى لا تُؤخذ النظريات الغربية كأنها حقائق مطلقة، أو تُطبَّق بمعزل عن الثوابت الإيمانية.

وفيما يلي نستعرض نموذجًا من الفلسفات والنظريات الإنسانية والتربوية، وقاعدتها الفلسفية، التي تبرز نظرتها للغيب عمومًا، وللحضور الشيطاني خصوصًا، وهذه النظريات تنعكس على ما لا يحصر من التطبيقات التربوية والمناهج التعليمية التي تأثرت بالضرورة بالمرجع النظري والفلسفي الذي قامت عليه:

1-الفلسفة الوضعية

نشأت هذه الفلسفة مع أوغست كونت، واعتبرت أن المعرفة العلمية وحدها هي المعرفة الصحيحة، وأقصت ما عداها من المعارف التأملية أو الدينية، واعتبرت الحديث عن الله أو الغيب أو الشيطان "بلا معنى" من وجهة نظر معرفية، ومن ثمّ فكل مبحث تربوي قائم على الغيب أصبح خارج دائرة الاعتبار.

وقد تأثرت الفلسفة الوضعية تأثرًا كبيرًا بالمدرسة الحسية التي أعادت النظر في نظرية المعرفة، وسعت إلى تحديد مصادرها وأدواتها بشكل صارم، وقد انتهى بها المطاف إلى قصر المعرفة على ما يُدرك بالحواس، وعلى الخبرة التجريبية المترتبة على هذا الإدراك، لتنكر بذلك كل مصدر معرفي لا يخضع للملاحظة الحسية، بما في ذلك الغيب والوحي، وقد بلغ ديفيد هيوم بهذه الفلسفة منتهاها، مدفوعًا بخلفيته الإلحادية، حيث سعى إلى استخدام الوضعية كنظام مرجعي بديل عن الدين، يستبعد كل ما هو ميتافيزيقي من دائرة المعقول والمقبول، وبهذا تم استبعاد الإيمان والروح والغيب من بنية المعرفة، وهو ما أثّر لاحقًا في بناء النظريات التربوية والنفسية التي اعتمدت هذه الفلسفة أساسًا لها.

ويوضح كونت (2020) تقسيمه الثلاثي لتطور الفكر البشري:

1. **المرحلة اللاهوتية**

يرى كونت أن البشرية في هذه المرحلة تحاول التعرف على ما يحيط بها، ويحاول فيها العقل البشري أن يبحث عن معنى الأشياء وطبيعتها، وكانت تُفسر الظواهر بقوى خارقة وغيبية، ومن ثم أوجدوا آلهة متعددة، كل إله مسؤول عن ظاهرة من هذه الظواهر، كإله النار، والهواء، والسماء وغيرها، ثم انتقلوا إلى توحيد الآلهة بإله واحد، وترى الفلسفة الوضعية أن هذه الحالة خيالية خرافية، ولو كانت مفيدة على مستوى عملي.

2. **المرحلة الميتافيزيقية**

حيث تُفسر بالكيانات المجردة، وتحيل علل الأشياء من علة مفارقة للطبيعة إلى علل موجودة في ذاتية الأشياء، وهذه العلل هي معان جسدها الخيال، كالنفس والعقل والحرية والغاية...، ثم ذهب العقل إلى الإيمان بقوى متعددة تحتويها بواطن الأشياء، ولو كانت هذه القوى لا يمكن إدراكها في ذاتها، ثم انتقل العقل إلى قوة كلية موحدة تجمع هذه القوى وهي قوة الطبيعة.

3. **المرحلة الوضعية**

وهي مرحلة الرشد البشري، حيث تُفسر بالعلم والملاحظة والتجريب، إذ إن الإنسان أدرك أنه ليس بمقدوره أن يجد معارف مطلقة، ولذا فإن دوره يقتصر على التعرف والتحليل ومعرفة القوانين الحاكمة، وينتقل من السؤال عن حكمة الأشياء إلى السؤال عن كيفيتها، ومن ثم الاعتراف بكل شيء يخضع للملاحظة والتجربة فقط.

وقد عبّر عن رأيه بأن البشرية ينبغي أن تتجاوز المرحلتين الأُوْلَيَين، وتستقر في المرحلة الثالثة -الوضعية- باعتبارها الناضجة والعلمية، فنجد أن الوضعية قد رأت من خلال هذا التقسيم الثلاثي أن نفي الغيب وكل ما لا تطاله التجربة والحس، هو تطور بشري، ومرحلة من مراحل ترقي الفكر، وبهذه النتيجة فإنه نفي للغيب والشيطان وكل مؤثر متعال عن الطبيعة.

2-الفلسفة البرجماتية

تمحورت الفلسفة البراغماتية حول الخبرة المادية العملية، وجعلت من "المنفعة" و"النتائج الملموسة" مقياسًا وحيدًا للحقيقة، فليس للحديث عن الغيب أو الماورائيات قيمة تُذكر ما لم يكن لها تطبيق عملي مباشر ينعكس على الواقع، وبهذا التوجه، تم تقليص حضور القيم الثابتة، واستُبدلت بقيم نفعية متغيرة تُقاس بمدى فائدتها الفورية، وفي هذا السياق أصبح الدين يُختزل إلى مجرد تجربة شخصية فردية، لا تتضمن التزامات موضوعية ولا أبعادًا غيبية، كما تم تهميش العقائد الغيبية، كالإيمان بالشيطان، لأنها لا تخضع للملاحظة أو التجريب، ولا تدخل في دائرة "النافع القابل للقياس"، بحسب المعايير البراغماتية.

ويوضح جيمس (2014) أن المنهج البراغماتي هو في جوهره طريقة لحسم النزاعات الميتافيزيقية التي قد تكون بلا نهاية: هل العالم واحد أم متعدد؟ مقدَّر أم حرّ؟ مادي أم روحي؟ هذه كلها مفاهيم يمكن أن تكون صادقة أو غير صادقة بالنسبة لنا، تبعًا للفروق العملية الملموسة التي تترتب على صدقها في حياتنا.

ويقول جيمس (2014) أيضًا: إن البراجماتي لا يلتفت لعدد كبير من العادات والمفاهيم، إنه يبتعد عن التجريد، ولا يلتفت للحلول الكلامية، وعن التعليلات التي تسبق التجربة، وعن القيم الثابتة، وعن أصناف المطلق، والأصول المزعومة، إنه يولي انتباهه إلى الاستنادية والمحسوسية والكفاية، وإلى الحقائق والوقائع والعمل والممارسة.

في هذا النص، يضع وليام جيمس قيمة المفاهيم الغيبية والدينية، مثل: وجود الروح أو الغيب أو الشيطان موضع تساؤل إذا لم تؤثر تأثيرًا عمليًا مباشرًا في الحياة اليومية للإنسان. وعليه، فإن الشيطان -بوصفه مفهوما غيبيا غير محسوس، ولا يمكن اختباره علميًا- لا يحظى بمكانة حقيقية في الفلسفة البراغماتية ما لم يترتب عليه أثر سلوكي أو عملي.

3- الفلسفة الوجودية

تعتبر الفلسفة الوجودية من الفلسفات الإلحادية التي أسس لها جان بول سارتر، وحاول من خلالها تقديم أدلة فلسفية على ما أسماه بموت الإله، وهي كما يقول وولف (2017) مدرسة فلسفية تعتمد على الخبرة الحدسية للظواهر، كبداية لفهمها، بمعنى ما تمثله هذه الظاهرة في وعينا وخبرتنا الذاتية، ثم ننطلق من هذه الخبرة لنقوم بتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها.

ونستنتج من هذا النص أن الوجودية ساهمت في الترويج للنسبية بمفهومها العام، والنسبية الأخلاقية بشكل خاص، والتي تؤول بالضرورة إلى العدمية، فالإغراق النسبوي الذي ينفي الثوابت، ويجرد المفاهيم من ذاتيتها ينتهي به المطاف إلى تعدد الأفهام اللامحدود، الذي لا يعني شيئًا غير العدمية، بل إن سارتر ذاته أقر بذلك حيال مفهوم الوجودية وتعدد استخداماتها، وكيف آل ذلك إلى تفريغها من معناها فهو يقول: "إن كلمة الوجودية تطبق الآن تطبيقًا عريضًا على أشياء عديدة ومتنوعة، بحيث أصبحت لا تعني شيئًا على الإطلاق" (ساتر، 1964، ص33).

ويقول أرزقان (1433): إن إنكار سارتر للإله، ووجود أسباب تقف وراء خلق الكون، هو ما جعله يؤسس أخلاقًا على منهج الفلسفة الوضعية، وأعني بذلك أخلاقًا لا تعتمد على الماورائيات والغيب، ويتعامل معها كشيء واقعي في الوجود الإنساني؛ ما جعله يرى أن الأخلاق منتج بشري صرف لا علاقة له بشيء غيبي.

ومن ثم، فإن الفلسفة الوجودية قامت في جوهرها على نفي الإله، متخذة من مقولة "موت الإله" حلًا لمعضلة الخلق والغاية، لتُعلن بذلك أن الإنسان هو البديل، وهو الصانع لمعنى هذا الوجود، فكل شيء يستمد قيمته من الوعي الإنساني، وأداته في ذلك: العقل والحواس.

وبناءً على هذا الأساس، تُنكر الفلسفة الوجودية وجود الغيب وما يحتويه، سواء كان إلهًا يُعبد أو شيطانًا يُحذَر منه، وتجعل من الإنسان مركزًا للكون، ومصدرًا للمعنى، ومرجعية نهائية للحرية، دون قيد من وحي أو دين، وكل نظرية تأسست على قاعدة الفلسفة الوجودية قد أرست في عمقها مركزية الإنسان، وحريته المطلقة، ونفت كل مرجعية غيبية تتجاوز وجوده المحسوس، مما أدى إلى إقصاء التصور الإيماني عن مجالات الفكر والتربية والسلوك.

4-النظرية السلوكية

تُعد النظرية السلوكية من أبرز النظريات التي أثّرت في التربية الحديثة، حيث اهتمت بالسلوك البشري باعتباره محور التأثير والتغيير، متجاهلةً في المقابل أبعاد الإنسان الداخلية والروحية، وقد نشأت هذه النظرية في بيئة مادية علمانية خلال بدايات القرن العشرين، خصوصًا في الولايات المتحدة، على يد روّاد مثل: جون واطسون، وبورهوس سكينر.

انطلقت السلوكية من فرضية مفادها أن السلوك الإنساني قابل للتفسير والتعديل بالكامل عبر البيئة الخارجية، دون الحاجة إلى الرجوع إلى المعتقدات أو القيم أو الوعي الغيبي؛ ولهذا، ركّزت على ما هو مرصود ومحسوس وقابل للقياس، وأقصت كل ما لا يمكن إخضاعه للتجريب، كالروح، والضمير، والوساوس، حتى أثر الشيطان.

وبهذا التوجه، أغفلت النظرية السلوكية البعد الغيبي في فهم الإنسان، متجاهلة التحذير القرآني من وساوس الشيطان، التي تُعد من أعظم عوامل الانحراف الداخلي. فهي تردّ الانحرافات السلوكية إلى مثيرات خارجية واستجابات شرطية، دون أي إشارة إلى العداوة الشيطانية التي يشكّل تجاهلها ثغرة خطيرة في البناء التربوي والوقائي للإنسان.

هذا الإغفال يجعل النظرية السلوكية عاجزة عن تفسير كثير من الظواهر السلوكية التي لا ترتبط بالمثيرات المباشرة، مثل حالات التمرد الأخلاقي، أو الانجراف نحو الباطل رغم غياب المحفز الظاهري، وتلك الظواهر هي التي يُفسّرها المنظور الإيماني بأنها من وساوس الشيطان أو مداخله.

ولا عجب من نظريةٍ نشأتْ في بيئة تعزز توجهاتها، وبإشراف رواد لهم منطلقات تتفق مع هذه النظرية، غير أن الإشكال عند التعامل مع هذه النظريات دون الأخذ في الاعتبار إطارها الفلسفي، ودون محاولة تطويعها لواقعنا ومرجعيتنا.

وبذلك، فإن الشريعة الإسلامية لا ترفض الاستفادة من أي نظرية أو منهج يخدم تطوّر الإنسان، ما دام لا يتعارض مع نصوص الوحي وثوابته، ومن هذا المنطلق، يمكن تقدير إسهامات النظرية السلوكية، التي أضافت للحقل التربوي كثيرًا من التطبيقات المفيدة، لا سيما في مجالي التعليم والتعلم، غير أن جوهر الإشكال لا يكمن في مضمون النظرية ذاته، بل في تبنّيها الكامل، دون وعي نقدي أو محاولة لتطويعها لتنسجم مع فلسفتنا التربوية المستندة إلى الوحي، فاعتماد النظرية السلوكية كأساس تربوي منفصل عن البعد الشرعي والغَيبي، يؤدي إلى خلل في بناء الوعي الوقائي لدى المتعلم، ويحرمه من إدراك أحد أخطر مصادر الانحراف، وهو الشيطان، الذي لا يُرصَد بالحواس، لكنه حاضر في النصوص، ومؤثر في الواقع.

5-نظرية التحليل النفسي

تُعرف نظرية التحليل النفسي بـ"النظرية الثالثة" في علم النفس، وهي من أقدم المدارس النفسية التي كان لها تأثير بالغ في مجالي التربية والعلاج النفسي. وقد أسسها الطبيب النمساوي سيغموند فرويد في مطلع القرن العشرين، ليضع تصورًا جديدًا لفهم النفس البشرية وآليات السلوك.

وتنطلق هذه النظرية من أن السلوك الإنساني تحكمه دوافع لا شعورية، يغلب عليها الطابع الغريزي، وعلى رأسها الغريزة الجنسية، التي اعتبرها فرويد محورًا لفهم الانفعالات والاضطرابات النفسية، وقد سعى من خلال نظريته إلى تفسير تلك الاضطرابات على أساس الصراعات الداخلية بين مكونات النفس الثلاثة:

"الهو:" موطن الغرائز والرغبات المكبوتة.

"الأنا :" الجزء الواعي الذي يتعامل مع الواقع.

"الأنا الأعلى :" الممثل للضمير والقيم المجتمعية.

ورغم أن هذه النظرية أخذت بعين الاعتبار الجانب الخفي غير المادي من الإنسان، عبر تركيزها على اللاوعي، وتأثير التجارب فيه، إلا أنها تخلو تمامًا من الإيمان بالغيب، وتنكر وجود الشيطان أو دوره في الوسوسة والإغواء. بل إن فرويد نفسه كان مادي النزعة، وقد كتب في رسائله ومؤلفاته ما يؤكد رفضه لفكرة الوحي والشيطان والروح، بل اعتبر الدين ذاته نوعًا مما أسماه: الوهم الجمعي، وقال إن الدين وتصور الإله هو وهم يوافق رغباتنا الغريزية(فرويد، 1998).

وفي ضوء هذه الرؤية، فسّر فرويد الوساوس القهرية والانحرافات السلوكية بأنها ناجمة عن كبت داخلي لصراعات لا شعورية، لا عن وساوس شيطانية أو مؤثرات غيبية. كما رفض فرويد مبدأ الخطيئة والذنب من منظور ديني، وعدّه انعكاسًا لسلطة الأنا الأعلى أو التربية المحافظة؛ مما أقصى تمامًا البعد الشرعي في تفسير الانحراف.

وهذا يجعل نظرية التحليل النفسي، رغم اهتمامها بجوانب داخلية دقيقة، عاجزة عن تفسير الانحراف الأخلاقي بمعزل عن دور الشيطان، بل إن النظرية قد تُفسّر السلوك الشيطاني على أنه مجرد تعبير رمزي عن رغبات مكبوتة، مما يُفرغ التربية من بعدها العقدي والروحي، ويضعف الحس التحذيري من الغواية.

6-النظرية الإنسانية

تُعد النظرية الإنسانية من أبرز النظريات النفسية التي أثّرت في التربية المعاصرة، لا سيما في مجالات الإرشاد التربوي، وتنمية الذات، والتحفيز الداخلي، وقد ظهرت كرد فعل على النظريتين السلوكية والتحليلية؛ حيث اعتُبرت السلوكية اختزالية تهمّش البُعد الداخلي للإنسان، في حين ركّز التحليل النفسي على الجوانب المَرَضية والاضطرابات.

ومن أبرز روّاد هذه المدرسة: أبراهام ماسلو، وكارل روجرز، اللذان انطلقا من فكرة أن الإنسان كائن خيّر بطبعه، يملك بداخله القدرة على النمو والتوجيه الذاتي، إذا أُتيحت له الظروف المناسبة، وقد أولت هذه النظرية اهتمامًا كبيرًا بمفاهيم مثل: الذات، وتحقيق الذات، والحرية، والاستقلال، والمشاعر.

ورغم ما فيها من إيجابيات، كتأكيدها على كرامة الإنسان وضرورة تفهّم أبعاده الوجدانية، إلا أنها تخلو تمامًا من البعد الغيبي، ولا تعترف بأي مؤثر خارجي معنوي كأثر الشيطان في الانحراف أو الوسوسة، بل تنطلق من فرضية مفادها أن جذر المشكلة دائمًا في البيئة أو في صورة الذات السلبية، مما يُقصي التصور الإيماني الذي يُحمّل الإنسان مسؤولية الاستجابة للوساوس الشيطانية، ويُذكّره بعداوة خفية لا يمكن رصدها بالحواس، لكنها شديدة الأثر في واقعه وسلوكه.

وقد صرّح ماسلو بأن الإنسان في أصل طبيعته خَيِّر ومحايد، ولا يوجد ما يقتضي التفكير في الخطيئة أو الغواية، وأن كل ما يحتاجه هو تحقيق احتياجاته النفسية والفيزيولوجية وصولًا إلى تحقيق الذات (ماسلو، 2022).

أما كارل روجرز فقد ذكر أن الإنسان إذا تُرك وشأنه، فإنه سيتجه إلى ما هو بنّاء ومفيد، ما يعني استبعاد فكرة وجود عدو خارجي يغويه أو يزيّن له الباطل، كما هو الحال في التصور الإسلامي (روجرز، 2009).

ولم تهاجم النظرية الإنسانية فكرة وجود خالق، أو بعد غيبي مثلما فعلت نظرية التحليل النفسي، أو الفلسفة المادية، إلا أن غياب هذا البعد في النظرية الإنسانية يجعلها غير كافية لتفسير السلوك السلبي أو الانحراف الأخلاقي، بل قد تُشجّع الفرد على إلقاء اللوم على القمع المجتمعي أو الحرمان العاطفي، دون إدراك للدور الخفي للشيطان في توجيه السلوك أو التزيين الباطني له، وهو ما يُضعف البعد التحذيري والوقائي في التربية.

7-النظرية المعرفية

لا تقل النظرية المعرفية أهمية عن سابقتها من النظريات النفسية، لا سيما فيما يتعلق بالجوانب النفسية والمعرفية، حيث تُعد من النظريات الأساسية التي كان لها أثر عميق في مجالات التربية والتعليم والإرشاد النفسي، وقد تطوّرت هذه النظرية في النصف الثاني من القرن العشرين، كردّ فعل على محدودية النظرية السلوكية التي اختزلت الإنسان في استجابات خارجية للمثيرات، متجاهلة العمليات العقلية الداخلية.

وقد ركّزت المدرسة المعرفية على العمليات الذهنية مثل: التفكير، التفسير، الإدراك، التذكّر، واتخاذ القرار، ومن أبرز روادها: آرون بيك، وألبرت إليس، اللذان أسهما في تطوير ما يُعرف اليوم بالعلاج المعرفي.

وتقوم النظرية المعرفية على أساس أن السلوك الإنساني لا تحدّده فقط العوامل الخارجية، بل يتأثر أيضًا بالبُنى المعرفية الداخلية، أي بالأفكار والمعتقدات والتصورات التي يحملها الفرد عن ذاته وعالمه؛ ولهذا أصبح تصحيح التفكير وتعديل المعتقدات المشوّهة أو غير المنطقية هو الهدف المحوري في هذه المدرسة، من خلال إعادة بناء المنظومة الفكرية الداخلية للفرد.

ورغم أهمية هذا التوجه في إبراز دور الفكر في التوجيه السلوكي، إلا أن النظرية المعرفية في عمومها تغفل عن البعد الغيبي، ولا تتضمن في نماذجها النظرية أو العلاجية أي حديث عن الشيطان كوسواس أو كمصدر للإيحاءات السلبية، بل تُرجِع الأفكار المنحرفة إلى أخطاء معرفية ناتجة عن خبرات الطفولة أو التفسيرات الذاتية أو التفكير السلبي.

فعلى سبيل المثال، يرى Ellis (1991) مؤسس العلاج العقلاني الانفعالي أن مصدر الاضطرابات النفسية هو تبني الإنسان لأفكار غير عقلانية، مثل ضرورة رضا الآخرين، أو أن الفشل يعني انعدام القيمة، فهو لا يتحدث عما وراء الأفكار، ولا يعنى بها.

ومن ثم فإن قصر النظرية المعرفية على الأسباب النفسية الداخلية دون الاعتراف بالفاعل الغيبي -مثل الشيطان- يُعد من منظور إسلامي نظرًا قاصرًا واختزاليًا، إذ يُضعف وعي الفرد بخطورة الغواية، ويجعل العلاج والتقويم مقصورًا على مهارات التفكير، دون بناء مناعة روحية تحذر من الوساوس الشيطانية.

النتائج:

1.التصور التربوي في الإسلام يُقرّ بوجود الشيطان كعدو دائم، وكمهدد تربوي ينفذ عبر سائر مهددات التربية.

2.للشيطان أساليب متعددة في الغواية، منها: التزيين، التمني، الوسوسة، الاستدراج، العداوة الاجتماعية، وغيرها، وقد وردت مفصلة في النصوص الشرعية.

3.الوقاية من الشيطان في التصور الإسلامي لا تقتصر على الاستعاذة، بل هي وقاية متكاملة تشمل الجانب الإيماني، والفكري، والمشاعري، والاجتماعي.

4.الفكر التربوي الحديث -بمختلف مدارسه- عمل على إغفال الجانب الغيبي، وربما نفيه، بما في ذلك الشيطان، وفسّر الانحرافات من منطلقات مادية، أو نفسية، أو معرفية فقط.

5.بعض النظريات التربوية والفلسفات الإنسانية تتوافق مع مقاصد الشيطان -بصرف النظر عن وعيها بذلك- سواء بإقصاء الغيب، أو تمجيد الذات ومركزية الإنسان في الكون، أو إضفاء النسبية على الأخلاق.

التوصيات:

- ضرورة إدماج التصوّر الإسلامي عن الشيطان في المناهج التربوية، لا سيما في مراحل التكوين المبكر، بهدف تعزيز وعي الناشئة بوجود هذا العدو الخفي، وأثره العميق على النفس والسلوك، وفق ما تقرره النصوص الشرعية.
- إعادة قراءة النظريات التربوية الحديثة قراءة نقدية في ضوء الرؤية الإسلامية للإنسان، وتحليل ما تتضمنه من تصوّرات جزئية أو منقوصة، قد تُقصي الأبعاد الغيبية أو تتعارض مع الفطرة.
- دعوة الباحثين في علوم النفس والتربية إلى تأصيل علمي لأساليب الشيطان كما وردت في القرآن والسنة، وربطها بالسلوكيات اليومية داخل السياقات التربوية، بما يعزز من فهم الظواهر السلوكية في ضوء التصور الإيماني.
- توجيه المؤسسات التربوية نحو تنمية الوقاية الفكرية من الشيطان، خاصة في ظل الانفتاح الإعلامي العالمي، والتأثير الثقافي المتزايد الذي قد يُضعف الوعي بخطر الغواية الشيطانية.

- إنتاج مواد تدريبية وإرشادية للمعلمين والمربين توضّح كيفية تَجلّي وساوس الشيطان في المواقف التربوية، وطرق التعامل معها بأساليب واعية تربويًا ومحصّنة إيمانيًا.
- تشجيع مراكز البحث النفسية والتربوية الإسلامية على بناء نماذج تفسيرية تجمع بين المعطيات التربوية الحديثة، والتصور الشرعي للغواية الشيطانية، بما يُنتج إطارًا علميًا متكاملًا يربط بين الوحي والواقع التربوي.

المقترحات:

1. الشيطان في التصور التربوي الإسلامي، دراسة تحليلية في ضوء السنة النبوية.
2. الشيطان في القرآن الكريم: دراسة تحليلية في الوسوسة وتشكيل السلوك.
3. الوساوس الشيطانية في ضوء علم النفس الإسلامي: محاولة لدمج التفسير الغيبي والنفسي للسلوك.
4. بناء برنامج تربوي وقائي من الغواية الشيطانية في مرحلة المراهقة: تصور مقترح في ضوء التربية الإسلامية.
5. فاعلية التربية الروحية في تعزيز المناعة من الغواية الشيطانية لدى طلبة التعليم العام.
6. تصور الشر في علم النفس الحديث ومدى مقاربته لمقاصد الشيطان في الغواية.
7. بناء نظرية تربوية إسلامية متكاملة تعالج الغواية الشيطانية في ضوء القرآن والسنة.

المراجع

القرآن الكريم

أرزقان، ع. (1433). *الاتجاه الفوضوي في فلسفة سارتر*. منشورات الضفاف.

باومان، ز. (2016م). *الأخلاق في عصر الحداثة السائلة* (سعد البازعي، بثينة الإبراهيم، ترجمة). هيئة أبو ظبي للثقافة.

البخاري، م. (1400). *صحيح البخاري* (محب الدين الخطيب، تحقيق). المكتبة السلفية.

الجرجاني، ع. (1403). *التعريفات*. دار الكتب العلمية.

جيمس، و.(2014م). *البراغماتية* (وليد شحادة، ترجمة). دار الفرقد.

حمايل، ع. (2014). الأسلوب القرآني بين التشابه والاختلاف في دلالات الألفاظ والمعاني من منظور تربوي: قصة خلق آدم عليه السلام ودور إبليس فيها كما وردت في القرآن الكريم - دراسة تحليلية. *مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية*. (34). 11-52.

الحمدو، ر. يشار، ي. (2023). التحليل الدلالي والجوهري لمفاهيم الشيطان وإبليس في القرآن الكريم. *مجلة نِصار للدراسات الدينية*. (3)، 113-129.

الحميد، ح. (2014). تربية الإنسان في القرآن الكريم: قصة آدم وحواء نموذجاً. *مجلة القلم*. (2)، 71 - 97.

الراغب الأصفهاني، ح. (1992). *المفردات في غريب القرآن* (صفوان داوودي، تحقيق). دار القلم.

روجرز، ك. (2009). *أن تصير إنسانًا* (أسامة القفاش، ترجمة). دار الكلمة للنشر والتوزيع.

سارتر، ج. (1964). *الوجودية مذهب إنساني* (عبد المنعم الحنفي، ترجمة). مطبعة الدار المصرية.

السعدي، ع. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. مؤسسة الرسالة.

السنجري، ع. حسين، ل.(2022م). *دلالات أفانين خطاب إبليس لآدم "عليه السلام" في القرآن الكريم*. آداب الكوفة. 14(54)، 11-24.

الطبري، م.(2000). جامع البيان في تأويل آي القرآن، (أحمد شاكر، تحقيق).مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، م. (1984). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر.

عبد الرحمن، ط. (2000). *سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية*. المركز الثقافي العربي.

الغزالي، م. (2005). *إحياء علوم الدين*. دار الكتب العلمية.

فرويد، س.(1998م). *مستقبل وهم* (جورج طرابيشي، ترجمة). دار الطليعة للنشر والتوزيع.

الفيروزآبادي، م. (1998). *القاموس المحيط*. دار الفكر.

القرطبي، م. (2006). *الجامع لأحكام القرآن* (عبدالله التركي، تحقيق). مؤسسة الرسالة.

ابن قيم الجوزية، م. (1410). *تفسير القرآن الكريم*. دار الهلال.

ابن قيم الجوزية، م. (1424). *الفوائد*. دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، م. (1429). إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (مشهور آل سلمان، تحقيق). دار ابن الجوزي.

ابن قيم الجوزية، م. (1991). *إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان* (محمد حامد الفقي، تحقيق). دار المعرفة.

ابن كثير، إ. (2018). *تفسير القرآن العظيم*. دار الكتب العلمية.

كونت، أ. (2020م). دروس في الفلسفة الوضعية (نبيل أبو مصعب، منصور الحجلي، ترجمة). دار الفرقد.

لوبون، غ. (2016). *الآراء والمعتقدات* (نبيل أبو الصعب، ترجمة). دار الفرقد.

ماسلو، إ. (2022م). *التحفيز والشخصية* (غلاء أنس، ترجمة). دار القلم العربي للنشر والتوزيع.

المديهش، ن. العيسى، إ. (2021م). المضامين التربوية المستنبطة من حديث القرآن الكريم عن الشيطان الرجيم وتطبيقاتها في المجتمع. *مجلة القراءة والمعرفة*. (241)،79-104.

مسلم، ح. (1374). *صحيح مسلم* (محمد عبد الباقي). مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

المسيري، ع. (2002). *العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة*. دار الشروق.

الملاحمة، ع. (2016). الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن: دراسة مقارنة. *مجلة المنارة للبحوث والدراسات.22*(4)،73-137.

المنذري، ع. (1421). *الترغيب والترهيب* (إبراهيم شمس الدين، تحقيق). دار الفجر للتراث.

ابن منظور، م. (2003). *لسان العرب*. دار صادر.

وولف، أ. (2017م). *فلسفة المحدثين والمعاصرين* (أبو العلا العفيفي، ترجمة). آفاق للنشر والتوزيع.

References

The Holy Qur'an.

Abd al-Rahman, T. (2000). *The Question of Ethics: A Contribution to the Ethical Critique of Western Modernity*. Arab Cultural Center, (in Arabic).

Al-Bukhari, M. (1980/1400H). *Sahih al-Bukhari* (M. al-Khatib, Ed.). Al-Maktabah al-Salafiyyah, (in Arabic).

Al-Firuzabadi, M. (1998). *Al-Qamus al-Muhit*. Dar al-Fikr, (in Arabic).

Al-Ghazali, M. (2005). *Ihya' 'Ulum al-Din*. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, (in Arabic).

Al-Humaid, H. (2014). Human education in the Qur'an: The story of Adam and Eve as a model. *Al-Qalam Journal*, 2, 71–97, (in Arabic).

Al-Jurjani, A. (1983/1403H). *Al-Ta'rifat*. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, (in Arabic).

Al-Malāhima, A. (2016). Satan in the Torah, the Gospel, and the Qur'an: A comparative study. *Al-Manarah Journal for Research and Studies*, 22(4), 73–137, (in Arabic).

Al-Misiri, A. (2002). *Partial Secularism and Comprehensive Secularism*. Dar al-Shuruq, (in Arabic).

Al-Mudayhish, N., & Al-'Issa, I. (2021). Educational values derived from the Qur'anic discourse on Satan and their applications in society. *Journal of Reading and Knowledge*, 241, 79–104, (in Arabic).

Al-Mundhiri, A. (2000/1421H). *Al-Targhib wal-Tarhib* (I. Shams al-Din, Ed.). Dar al-Fajr li-l-Turath.

Al-Qurtubi, M. (2006). *Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an* (A. al-Turki, Ed.). Mu'assasat al-Risalah, (in Arabic).

Al-Raghib al-Isfahani, H. (1992). *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an* (S. Dawoudi, Ed.). Dar al-Qalam.

Al-Sa'di, A. (2000). *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan*. Mu'assasat al-Risalah, (in Arabic).

Al-Sinjari, A., & Hussein, L. (2022). The rhetorical devices of Iblis' address to Adam (peace be upon him) in the Qur'an. *Adab al-Kufa Journal*, 14(54), 11–24, (in Arabic).

Al-Tabari, M. (2000). *Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ay al-Qur'an* (A. Shakir, Ed.). Mu'assasat al-Risalah, (in Arabic).

Arzaqan, A. (2012/1433H). *Al-Ittijah al-Fawdawi fi Falsafat Sartre* [The Anarchist Trend in Sartre's Philosophy]. Dar al-Dhifaf, (in Arabic).

Bauman, Z. (2016). *Morality in the Age of Liquid Modernity* (S. al-Bazai & B. al-Ibrahim, Trans.). Abu Dhabi Authority for Culture, (in Arabic).

Comte, A. (2020). *Lessons on Positivist Philosophy* (N. Abu Mus'ab & M. al-Hijli, Trans.). Dar al-Farqad, (in Arabic).

Ellis, A. (1991). *Reason and emotion in psychotherapy* (Rev. and updated ed.). Carol Publishing Group.

Freedman, J. Fraser, S. (1966). Compliance without pressure: The foot-in-the-door technique. *Journal of Personality and Social Psychology, 4*(2),195–202.

Freud, S. (1998). *The Future of an Illusion* (G. Tarabishi, Trans.). Dar al-Tali'ah, (in Arabic).

Hamayil, A. (2014). The Qur'anic style between similarity and difference in the meanings of words: An educational perspective on the story of Adam's creation and Iblis' role. *Al-Quds Open University Journal for Humanities and Social Research*, 34, 11–52, (in Arabic).

Hamdou, R., & Yashar, Y. (2023). Semantic and essential analysis of the concepts of Satan and Iblis in the Qur'an. *Nisar Journal for Religious Studies*, 3, 113–129, (in Arabic).

Ibn Ashur, M. (1984). *Al-Tahrir wal-Tanwir*. Tunisian Publishing House, (in Arabic).

Ibn Kathir, I. (2018). *Tafsir al-Qur'an al-'Azim*. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, (in Arabic).

Ibn Manzur, M. (2003). *Lisan al-'Arab*. Dar Sader, (in Arabic).

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. (1989/1410H). *Tafsir al-Qur'an al-Karim*. Dar al-Hilal, (in Arabic).

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. (1991). *Ighathat al-Lahfan min Masayid al-Shaytan* (M. al-Faqi, Ed.). Dar al-Ma'rifah, (in Arabic).

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. (2003/1424H). *Al-Fawa'id*. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, (in Arabic).

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, M. (2008/1429H). *Ighathat al-Lahfan min Masayid al-Shaytan* (M. al-Salman, Ed.). Dar Ibn al-Jawzi, (in Arabic).

James, W. (2014). *Pragmatism* (W. Shahada, Trans.). Dar al-Farqad, (in Arabic).

Le Bon, G. (2016). *Opinions and Beliefs* (N. Abu al-Sa'b, Trans.). Dar al-Farqad, (in Arabic).

Maslow, A. (2022). *Motivation and Personality* (G. Anas, Trans.). Dar al-Qalam al-'Arabi, (in Arabic).

Miller, J. (2000). *Education and the soul: Toward a spiritual curriculum*. State University of New York Press.

Muslim, H. (1955/1374H). *Sahih Muslim* (M. Abd al-Baqi, Ed.). 'Isa al-Babi al-Halabi Press, (in Arabic).

Rogers, C. (2009). *On Becoming a Person* (O. al-Qaffash, Trans.). Dar al-Kalimah, (in Arabic).

Sartre, J.-P. (1964). *Existentialism is a Humanism* (A. al-Hanafi, Trans.). Egyptian Press, (in Arabic).

Wolff, A. (2017). *Philosophy of Modern and Contemporary Thinkers* (A. al-'Afifi, Trans.). Afaq Publishing, (in Arabic).